نساء الضباب

- الكتاب: نساء الضباب
- المؤلف : منى شكر محمود

- الطبعة: الأولى - قصص
- سنة الطبع : ٢٠١٩

الترقيم الدولي للكتاب..

ISBN : 978 - 9922 - 9069 - 4 - 2

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (3733) لسنة 2018

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق

نساء الضباب - منى شكر محمود - العراق
دار الورشة الثقافية للنشر والتوزيع
العراق - بغداد - شارع المتنبي - مجمع الميالي التجاري - الطابق الأول
هاتف جوال: 009647714343692

E.mail: alwarsha2018@gmail.com

لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر

تصميم الغلاف: الورشة الثقافية للنشر والتوزيع
الاخراج الداخلي والطباعة : الورشة الثقافية للنشر والتوزيع

إن الآراء الوارادة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار الورشة الثقافية للنشر والتوزيع

منى شكر محمود

نساء الضباب

Mist's woman

لا يزال عطرك يترك بصمات شذاه على مقبض

الباب وأنت راحل!

قصص

الاهداء

إلى...
منى...
قبل بضع سنين!
إلى...
كل من ينتظر بزوغ فجره الآتي
ليخرج من سردابه المعتم
حيث...
رحاب الأرض
وضوء النهار
ليجني ثمار الحلم

بعض من نور

"فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر احدا
فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا"

هذه الآية التي تبقيني على الدرب كلما إدلهمت الخطب
وتشظى نور الأمل.

وصف

وصفتها له ...
أسهبت في الوصف، سأم منها وخرج، كأنهما ليسا زوجين.
هي تصف الآخرين سواء بصفاء نية أم غيره.
في الخارج تنفس الصعداء.
شغلته صاحبة المواصفات.
عزم الأمر، لا بد أن يراها، فذكرها يملأ عليهما البيت، هو يعرف كل رفيقاتها عن طريق اللقاء مصادفة أو حين يذهب لإحضارها من العمل وأحيانا عن طريق التصفح في حسابها من باب قتل الوقت أو حين يكون جهازه النقال معطلا عن العمل وربما من باب التغيير وليس شكا بها أو غيرة للبحث عن أشياء ربما يبحث عنها بعض الأزواج، بل على العكس لطالما تركها بحريتها تقبل صداقات وتحذف أخرى، بل هو يسعى لإشغالها كي لا تثرثر كثيرا عن هذا وذاك.
هو يدعوها للترفيه عن نفسها دوما بان تزور هذه أو تأخذ هدية لتلك التي أنجبت قبل أشهر، تزور أهلها وتطيل المكوث أن أرادت.
متاح لها كل ما تريد.

ورغم أنها تصف الناس بدقة واهتمام إلا انه لا يحب ذلك ولا يبالي على الرغم من أنها توفر له مادة دسمة عن حياة الكثير من الناس الذين ما أن تسمع ذكرهم حتى تهتم بكل صغيرة وكبيرة تقدر على التقاطها عنهم، هذا حسب رأيها، إنها تدعم البيت بهذا الكم من المعلومات التي طالما استأنست بها رفيقاتها فهي كالموسوعة تقدم تقرير مفصل قدر المستطاع.

كان يتناول الغداء، فباغتته:

- ما رأيك بدعوتها لتناول الطعام في الغد؟

أشرق نور للحياة داخل نفسه، كان شيئا مثيرا أن تطرح تلك الفكرة.

- ولم لا.

قالها كأنه يحاكي خياله، كان شاردا فيما سيحمله له الغد.

كان يريد أن يقول انه جد فرح ويتوق لتلك اللحظة الا انه كان يتناول طعامه الذي لم يعد يدري ما هو، ساخن أم لا، يستسيغه أم لا يستسيغه.

كانت تملأ خياله طيلة الأسبوع الماضي والتالي لكثرة ما تردد ذكرها عندهم.

نهض تاركا طعامه، خاطبته مستغربة:

- لم تكمل طعامك، إلا تحب هذا النوع من الشواء؟

- لا بد من الاستعداد للغد!

قالها في سره، إنه يوم مهم.

وراح يعد العدة لأجل ذلك اليوم الذي لا يعرف لم صار بعيدا ولم

صارت الدقائق اللعينة تأبى أن تتحرك بل هي تصر على ذلك.
كان الغد.
كانت امرأة تختلف عن كل رفيقاتها.
امرأة من طراز خاص أو هكذا كان يرى هو.
ذات هدوء ارستقراطي.
تلفظ الحروف على مهل، يغلفها الحزن الشفيف.
بعد أن قدمتها زوجته اليه وراحت تبحث في أسرارها وخباياها، كان هو لا يسمع ولا يعي من زوجته شيء، سوى أن كله كان مع رفيقتها.
كانت لحظات لذيذة أن يجالسها ويصغي لهمسها المتدفق الذي يجيب على أسئلة زوجته كأنها المحقق شارلوك هولمز.
فرحت الزوجة بهذا القدر من المعلومات عنها والذي استطاعت الأخرى منحه مع التحفظ بالكثير.
استأذنتها الزوجة قليلا لإحضار العصير والكعك الذي هيأته سلفا لهذا اليوم مشيرة الى زوجها بطرف عينيها ان يحادث المرأة ويجاملها ولا يبقى كأبي الهول.
لا يعرف ماذا يقول إلا انه كان يرغب أن تتكلم ليصغي، يبدو انه ليس متحدثا جيدا وفعالا كزوجته:
- سرني حضورك، زوجتي شخصية مرحة واجتماعية لهذا لديها الكثير من الأصدقاء على العكس مني.
بالكاد استطاع خجلا أن يقول.
رفعت طرفها بخجل وتردد وهو يترقب وينتظر ليرى كيف تكون

نظرتها:

- لكل محبيه.

أعجبته، صوتها وشخصها.

قرر الاقتراب أكثر، ولم لا؟

تطورت العلاقة.

تماديا في الإعجاب والعشق.

انشغلت الزوجة بأخبار الناس وقصصهم.

كانت مستمتعة.

هو أيضا مستمتع برفيقتها.

غربة روح

نظرت إلى السماء وهي تجلس مسترخية في مقعدها في تلك الشرفة التي تحب لحظات التأمل فيها.

أخذت نفساً عميقاً ثم أغمضت عينيها وراحت تعبث بشعرها ملقية خصلاته إلى الوراء.

سمعت صوت الباب يفتح ويدخل شقيقها مناديا زوجته التي لم تتأخر عليه كثيرا ملبية النداء.

لا تعرف لم كانت تصغي السمع لهما وربما تعرف وتتجاهل.

اصغت باهتمام للحظات الود المتبادلة بينهما بعمق ولهفة، أنصتت لتلتقط كل الذبذبات والهمسات التي تولد هناك.

سمعت زوجة أخيها تضحك بغنج والآخر يداعبها، لم تكتف، نهضت لتسترق النظر والسمع عن قرب وراحت تنظر اليهما من خلف ستارة الشرفة التي لا ينفك يعبث بها هواء أيلول العذب الجميل.

رأته يحتويها برغبة وهي الأخرى مستسلمة بين ذراعيه تتلوى من عنف اللهفة وتأثيرها وتتأوه بدلال وتحبب.

تركت النظر اليهما وتنهدت بحرقة وألم:

- إلا يراعيان مشاعر الآخرين؟

عضت على شفتها السفلى كأنها تخاف أن يسمع همسها.
أعادت النظر ثانية وجدتها قد تماديا، هو يطوقها بذراعيه ضاغطا بقدر ما يسمح الموقف والمكان، هي الأخرى أرسلت ذراعيها لتطوقه حول رقبته وراحت تحدق فيه وتهمس له في أذنه كل مرة بعبارات تجعله يقهقه ثم يهدأ فيعود ليهمس في أذنها فتطير جذلى هي الأخرى.
دفعت مقعدها قليلا كي تسمعهما الصوت وعسى أن ينتهيا، لكن الصوت غدا أقوى مما أرادت.
انتبه الاثنان الى مصدر الصوت وراحا يسرعان الدخول الى مخدعهما تاركينها في خضم أمواج حرى لا ترحم ولا تهدأ.
عادت الى كرسيها وحيدة كما كانت تراقب البيوت البعيدة على مرأى النظر وترى في كل بيت حكاية، فهنالك اثنان يفعلان ما يجري هنا، وهناك امرأة تبكي غضب زوجها وتجاوزه عليها وهناك رجل وحيد يجلس في الشرفة خالية حياته من أية أنثى تجعله يبتسم للحياة ويحبها.
وهي قد تجاوزت الثلاثين ببضع سنين ولا زالت تتخيل كيف تكون حياتها إن دخلها رجل؟
لطالما آمنت أن حظ النساء لا يكتمل إلا بالرجال.
- يا الهي...كم أتالم.
أين هم هؤلاء الرجال ...لا رجال في محيط حياتها، هل كتب عليها أن تبقى عزباء الى سنين مدى حياتها؟
نظرت الى حركة الناس والحياة، كل شيء يسير الى أجل ما.

ـ ترى أين هو؟
أيسير باتجاهها أم عكس ذلك؟
خفضت رأسها وراحت تمسك به بكلتا يديها كأنها طريقة نافعة لتنسى كل ذلك.
- آه.
وجدت نفسها تبكي بحرقة وبصوت مختنق حتى مد احدهم يده على رأسها:
- ماذا بك؟
أهناك شيء؟
رفعت رأسها لترى شقيقها يحمل منشفة يمسح بها شعر رأسه الذي كان يقطر ماءا حيث خرج من الحمام.
ابتسمت وسط الدموع:
- أبدا..لا شيء.

ليلة باردة

خطت سبابتها اليمنى بحروف اسمه على زجاج نافذتها التي كانت تغطيها من الخارج قليل من حبات الندى وبداية لضباب كثيف.
لطالما كتبت الكثير، لكن دون أي جدوى.
تراه سيأتي هذه المرة؟
سيلبي النداء؟
لم تكن ترتدي ملابس سميكة تتناسب والجو في الخارج، كأن ملابس الشتاء أثقلتها فلم تعد تحتمل حملها أكثر.
إنها تدعو في سرها أن يعود .
كم طال الانتظار.
كم هو مرهق ومؤلم.
رأت شبح رجل من بعيد يسير في الشارع وهو يرتدي معطفا سميكا ويلف حول رقبته وشاحا سميكا.
تحفزت في جلستها وراحت تمسح الزجاج بطرف كمها وتدقق النظر، وراح قلبها ينبض بسرعة وخوف ولهفة، حتى أنها عجزت عن ابتلاع لعابها.
ودون انتظار أكثر من السابق، راحت تجري لتسابق الريح لتنزل السلالم الى الأسفل، لا تعرف بم تعثرت قدميها.

وما الذي راح يتدحرج بعيدا وهو يشكو جنونها.
ثم بعد بضع درجات من السلم تذكرت إنها لا بد أن ترتدي شيئا فملابسها لا تناسب الخروج.
- تبا لي.
صرخت في جوفها.
عادت مسرعة لأخذ شيء يستر ولو قليلا منها.
لكن الطريق صار كأنه طويل والمسافة للصعود الى غرفتها صارت رحلة دهر.
متى تصل؟
التقطت شيئا لا تعرف ما هو.
معطف،شال، أي رداء.
لا يهم.
انحدرت ثانية الى الأسفل.
أوشكت أن تفتح الباب لتخرج لكن كانت قد أقفلت مسبقا مبكرا.
ضربت الأرض بقدمها بقوة حتى صارت تئن.
راحت تفتح الأقفال بهستريا وجنون.
انطلقت نحو الخارج حافية سوى من جوربين لا تعرف كيف دخلا في قدميها ومتى؟
ركضت نحوه بضع خطوات حتى توقفت وهي تلهث وجواربها قد ابتلت من الأسفل حيث رطوبة الجو وتقلباته.
انه يسير ببطء نحوها .

لاحت أضواء المنازل على صفحة جانبية من وجهه وهو يسير في الظلام.
كانت جامدة كالصنم.
لا تزال تلهث، وصدرها المرهق يعلو ويهبط، وذلك البخار يخرج من فمها تارة وتارة يهدأ.
شعرت بالخدر يجتاح أطرافها، ويشل تفكيرها.
شعرت ببرد قارص يحيط روحها ويأسرها.
لم يكن برد الشتاء الذي حولها.
كلا.
انه برد من نوع آخر!
ذلك الذي تختلط فيه الدهشة واللهفة بالمفاجأة والتوقع الأليم والخذلان بالخجل.
لقد مر من جانبها الكثير من الناس.
كأنها كانت تسمع سخريتهم منها.
أم أنهم يتهامسون على شيء آخر لا يعنيها؟
هناك رجل مسن وامرأة يسيران سوية ويبتسمان لبعض كل حين.
وهنالك فتيان راحا يتدافعان في الشارع بمزاح ثقيل وصوت عال.
وتلكم الصديقات لا تعلم أنهن الى أين.
وذلك وتلك.
تريد أن تحرك قدميها أما نحوه أو العودة الى الوراء.
لكنها تشعر بالشلل التام.

بدأت السماء تمطر بضع قطرات من المطر.
رفعت رأسها الى فوق وراحت خصلات شعرها تتناثر هنا وهناك بعبث من دون توضيب.
سقطت قطرات مطر في عينيها لتشارك دموعها برفق وحنو للانحدار الى أسفل لتصب في زاوية فمها أو تستمر في الجريان الى رقبتها برحلة أزلية طالما مارستها حواء لهذا السبب أو ذاك.
خفضت رأسها وأطرقت النظر حين اقترب الرجل .
قد تسقط أرضا.
أتراه هو؟
أم أن للقدر مزحة باردة.

صفقة

وَقفَ إزاء المرآة يَتأمَلُ وحدَتَهُ التي تَبوحُ بها أساريرهُ، الكَثير مِن الحُزنِ يملأُ ثنايا روحهُ، لَم يَعُد بَيتَهُ البَسيط يَعجُ بالحركةِ وَأصواتُ الصِغار، كُلُ شيء رَحَلَ إلى قَدَرِه، لا يَعلَمُ لِمَ تَنهالُ عَليهِ الذكريات كُلَما تأمَلَ نَفسَهُ في المِرآة.

التَقَطَ زُجاجةَ عِطرٍ صَغيرةٍ كانَت هَديةً مِن أحدِ الرِفاق، ضَغَطَ عَليها مَرَتَين وَأعادَها إلى مَكانِها بَعدَ أن تَناثرَ عِطرُها عَلى مَلابِسِهِ دونَ الشُعورِ بروعةِ شَذاهُ.

أعادَ تَرتيبَ سُترَتَهُ وَأزرارُها تأهباً للخُروج، يَكفي أن يَعيشَ الوحدةَ رُغماً عَنهُ، ليَخرُجَ للحياةِ أيٍ كانَت، إذَا كانَ اللهُ قَد اختارَ لَهُ أنَ يَعيشَ هكذا فَليَعش.

راحَ يَمشي مُتجهاً إلى ذاكَ المَكتَب.

المَكتَب الذي وَجَدَ فيهِ ضالَتهُ.

دَخلَهُ الشَهري، هَل يَبقى يُنفِقَهُ لمأكَلِه ليَعيشَ وَحيداً.

بَل قَرَرَ أن يَبحَث عَن مُتَحَدث يَستأنِسُ مَعَهُ.

لَطالَما كَلَمَ أشباحَ عُزلَتَهُ، إذ لا أحد سِواهُ في بَيتِهِ الصَغيرِ، الآن قَرَرَ أن يُكَلِمُ أحَدَهم.

وَها هي ذي الفُرصة سانِحة أخيراً في هذا المَكانِ، تُتيحُ لَه أن يَستأجِرُ

شَخصاً يُحَدثُهُ عَن هُمومَهُ وَخَلَجات نَفسه.
فكرةٌ غَريبةٌ وَجَميلةٌ أن تَجِدُ مَن تُحادِثَهُ وَإن كانَت عَمليةُ بَيع وَشراءٍ.
اتفقا مُسبَقاً مَعَ الموظفةِ المسؤولةِ عَلى أن يُحادِث شاباً، المُكتَب هو الذي يُقَررُ مَكانَ اللقاء.
هو يَعرفُ مَكان اللقاء، أينَ يَجلِسُ، إذ زَوَدَتهُ الموظفةُ ببطاقةٍ تَحتَوي كُلَ التَفاصيلِ، المَكان، الوَقت، رَقمُ المَنضَدة وَذاكَ المُتَحَدِث.
جَلَسَ الرَجُلُ بانتظار رَفيقِه الذي لَم يَتَأخر حَيثُ جاءَ مِن خَلفِه، أرادَ الشاب أن يُثَرثرُ للفَضاءِ البَعيدِ تارِكاً الرَجُلُ يَجلِسُ خَلفَهُ، أرادَ البوح عِبرَ النافِذةِ ثُمَ يَعودُ إلى الرَجلِ.
رأى إنَهُ هُو الآخر يُريدُ أن يَبدَأ البَوحَ وَإن كانَ سَيَستَلِمُ مَبلَغ رِفقَتَهُ للرجل وَمشارَكتَهُ الحَديث.
كانَ الرَجُلُ الجالِسُ يَتأملُ مِثلَ الشاب الفَضاء الواسِع عِبر النافِذة، كانَ لكُل منهما حكايةٌ.
تَكَلمَ الشاب بَعدَ أنَ وَضَعَ إحدى يَديه في جَيبِه والأخرى إتكأ فيها عَلى حافةِ النافِذة، ظَلَ يُحَدثُ نَفسَهُ طَويلاً وَهوَ يَتأمَلُ الفَضاءُ الشاسِع عِبرَ نافذة صَغيرة، يَستَذكِرُ كُلَ ما مَرَ بِه من قِصص وَأحداث ظَلت راسخةً في خياله المُتَقدُ، لا يَنساها وَلا هي تَنساهُ لتُريحَهُ:
ـ كُلَ يَوم أتَحَدثُ مَعَ الكَثيرين مِن الناس، أناسٌ مُختَلِفونَ، طَبائعٌ مُختَلِفةٌ، الكُلُ يَوَدُ الحَديثَ عَن نَفسِه لأنَهُ قادر عَلى دَفع الثَمَن، المال الذي بإمكانِ مالكه شراءُ كُلُ شيء، ألَيسَ هو مَن يُجبَرَني أنَا أيضاً عَلى الإصغاءِ لَهُم وَسَماع تَفاصيل لا تَهمُني قَطعاً، لَستُ صَنَماً أو لُعبَةً، أنا إنسان، وَلِكَلِ إنسان هُمُومَهُ، أحزانَهُ وَأفراحَهُ.

وَراحَ يَتَحَدَثُ كأنَهُ يَرى أمامَهُ ما مَرَ عَليهِ مِن أحداثٍ لا تنسى:
ـ ألقَيتُ بأبي يَوماً في العَراءِ لِتَفعَلَ الأقدارُ بِهِ ما تَشاءُ وَهو رَجلٌ كَهلٌ لا يَحتَملُ طَبعاً.
هُناكَ إبتَلَعَ الرَجُلُ الجالِسُ لُعابَهُ بِصُعوبةٍ، كانَ يتآكَلُ مِن الداخِلِ، الشيء الوَحيد المؤلِم الَذي قَتَلَ الحياةَ فيهِ هو تلكَ الظَهيرة.
ـ كُنتُ قَد جَهَزتُ كُلَ شيء إنَهُ في حالٍ عادَ إلى البَيتِ، فَلَن يَجِدَني.
أطرَقَ قَليلاً وَهو يُحادث نفسه:
ـ تَدَهوَرَت أحوالي حَتى حَصَلتُ عَلى هذا العَمَلِ وَصِرتُ أسمَعُ شَكوى الناسِ وَأنا في عالَمٍ آخر مِن الغياب.
كانَ قَلبُ الرَجلِ يَبكي وَهو يُصغي السَمعَ وَجَسَدَهُ يَنتَفِضُ مِن ضَغطِ النَحيبِ المَكتومِ.
ـ تُرى أين هو؟
سألَ الشاب نفسه وَكأنهُ يَضيعُ قَبلَ أن يُجيبُ :
ـ تُرى ما الذي حَدَثَ لَهُ بَعدَ تلكَ الظهيرة؟
تباً لِلنساءِ حينَ يَتَحَكَمنَ بِعُقولِ الذُكور الذينَ لَن يَرتَقو إلى مَرحَلةِ الرُجولة...رَفَضَت أن تَعتَني بأبي حَتى كانَ ما كان.
نَهَضَ الرَجُلُ ببُطءٍ مُحاولاً التَماسُك، كانَ يُريدُ البَوحَ، كانَ يُريدُ شراءَ رفقةٍ لا تُشتَرى حَتى ادلَهَمَت عَليهِ الخُطَب.
بَدأ يَتَحَرَكُ مِن كُرسيه، انتَبَهَ إليه الشاب وَراحَ يَقُولُ:
ـ أنا مَن ثَرثَرَ .. سَأعيدُ إليكَ مالَكَ أيها السَيد.
اقتَرَبَ منهُ واضِعاً بَعضَ المالِ عَلى المنضدة.
نَظَرَ الرَجُلُ إلى المالِ وَبانت عَلى وَجهِهِ ابتِسامةٌ تَحتَضِرُ، لم يَستَطِع

النُطقَ استَدارَ تارِكاً الآخر وَمالَهُ لِوَحدِهِ، وَذاكَ يَنظُرُ إليهِ حَزيناً مُستَغرباً.

ـ شُكراً لإصغائكَ...أتُريدُ مالاً أكثَر؟

لَم يَحصُل عَلى إجابة.

كانَ الرَجُلُ يَتَذَكَرُ وَهو يَسيرُ خارجاً مِن المَكتَب وَلَسعةُ هَواءٍ باردةٍ توحي بِقدوم الشِتاء، اقتَحَمَت عَلَيهِ خَلوَتهُ حَتى اقشَعَرَ جَسَدهُ.

كانَ يَوماً رأىَ فيهِ رَجُلاً كهلا نِصفَ مَيت، إلى الآن لا زالَ يَستَغرِبُ لَمَ لَم يَمت مِن أثر ذلكَ العُقوق!

صارَ لَهُ خَيرَ رَفيقٍ يُشاركَهُ وحدَتَهُ البائسة، لَم يَطلُ مُكوثَهُ لَديهِ أشهر حَتى سَقَطَ طَريحُ الفِراشِ بَعدَ أن عانى مِن أمراضٍ لا يَتَحَمَلُها عُمرهُ وَلا يَتَحَمَلُها رَفيقَهُ الرجل بِسَببِ الحُزنِ وَذاكَ الجُحُودِ مِن ابنِهِ.

ـ إن عَلِمتَ خَبَراً عَن ابني...أبلِغهُ إنَني سأكونُ في رعايةِ رَبٍ رَحيم...إنني سامَحتُهُ.

كانَتً آخرَ كَلِماتٍ نَطَقَها تارِكاً إيايَ وحدي مِن جَديدٍ...

أنتَ سامَحتَهُ...

لكني لَن أسامِحهُ...

كانَ الشارِعُ فارغاً إلا مِن بَعضِ الصِبيةِ يَلعَبونَ بِكُرةٍ قَديمةٍ، وَصَوتُ حِذاءِه يَئِزُ عَلى الحَصى النَاعِمةِ ...

لَن يَعودَ إلَى ذّلَكَ المَكتب.

لِم يَعدُ هُناكَ جَدوى.

في انتظار الباص

تأبط كتاباً لا يرغب بلذة احتضانه حتى يأتي المساء وينعزل معه عن الآخرين.
شغل يتصفح جريدةً بين يديه.
قليل من الناس تنتظر وصول الباص.
وهي كانت على بعد تنتظر منعزلة عن البقية، ترتدي نظارة بنية تخفي خلفها حزناً يجول في الداخل.
لاحت منه التفاتة عفوية اليها، رآها بين الجميع، سمراء ثلاثينية، نحيفة
متوسطة الطول، لم يستطع رفع بصره عنها، تأملها من تحت الى فوق
من اليمين الى الشمال.
نسي الجريدة وأخبارها رغم تسمرها أمامه منتظرة إنهاء القراءة لأحداث
العالم التي تجوب الأرض كل حين.
وصل الباص، بدأ الناس بالصعود، لم ينتبه له، كان يراقبها باهتمام.
تحمل مجموعة كتب ضمتها فوق صدرها كأنها تتعاضد مع أضلاعها

بالإحاطة بألم يريد المرور بين ثناياها حتى وجد أمامه متنفساً، حيث الكل مشغول بالصعود ولا احد تعرفه يعنيه حزنها.
كانت أصابعها تجفف دمعاً يتسابق في الانحدار الى أسفل دون أن تمنعه تلك النظارة من أن يستتر أكثر.
رق قلبه لها، يهوى تأمل المرأة التي تبكي بصمت، لم يحاول إبداء أية بادرة لمساعدتها، كان يتأمل فقط.
صار قلبه ينبض أسرع، ظل يمعن فيها النظر دون أن يرف له جفن، شعر بخنجر الحزن والشفقة يشق جسده منغرزاً فيه بعمق وألم.
إنه يعرف لمن يعود هذا الجسد ولمن يكون هذا النمط في البكاء.
أنت هي!
تبا للأيام بنهاراتها ولياليها!
أقترب أكثر يشمت بذاك الدمع.
نظرا إلى بعضهما عن مقربة، دهشت حين رأته و بوغتت لكونهما لوحدهما في الشارع و قد ظهر بعد سنين هربت بعيدا وهي لا تزال تنشج لا تحتمل حزنها ووجوده أمامها .
ظل يرقبها وهي تبتعد وتتلاشى .

نهاية وردة

تأملت وردة في يدها وراحت تعبث بأناملها بحبات المسك والميسم خاصتها وتذكرتهُ ...

كان يغازلها بأنها كتلك الأعضاء في الزهرة تفوح منها الرائحة وتشدو لتشد بينهما أكثر.

تنهدت بعمق وبصوت مسموع طالما شكا قلبها منه وتذمر.

تركت وردتها على المقعد الذي بجانبها جنب حقيبتها الملقاة بإهمال وراحت تطلق لعينيها حرية الترحال في الفضاء المفتوح أمامها، لا تخلو عينيها من شجن كان ولا يزال هو مسببه.

لطالما سألت حالها:

- لم فعلت ذلك؟

لم اخترت الهجر...رغم علمك بما أكنه لك؟

أيمل امرأة تعبده؟

ولا ترى غيره؟

هل بات عشقها له شيئا أكل الدهر عليه وشرب...شيئا لم يأتي بجديد...

الى جانبها هناك ليس ببعيد سمعت صوت امرأة وهي تلقي لمجموعة حمام قريب منها بعض الأكل وتضحك وهي تشير الى

هذه وتلك والى جانبها جلس رجل لم يكن يلقي لها بالا وهو ساهم في فضاء بعيد تارة يبتسم لها وأخرى يغوص بعيدا في دنيا أخرى يوحي بها البحر حين تجلس قبالته.

لاحت منه نظرة اليها وحانت منها التفاتة عفوية حتى التقى هذا المسار بذاك القادم من هناك.

لم يستطع الاثنان تغيير المسار أو إجباره على العودة.

لقد كان هو بعينه.

وكانت هي الأخرى بعينها كما كانا يوما.

بقي الاثنان ينظران لبعض دون حراك، دون شعور بالأشياء، لحظة استيقظ فيها الماضي دفعة واحدة رغم انه لم ينم يوما.

أخفضت بصرها ثم عادت الى البحر، راح هو الآخر يجر أذياله ليلقي بما يقدر على إلقاءه في ذاك البحر.

نهضت رفيقته وهي تنظف من ملبسها، ربما يكون قد اتسخ مما كانت تطعم به الطير وهي تحثه على النهوض وراحت تجمع حاجتها وراح هو يلقي نظرة الوداع لتلك التي بانت غريبة.

بادلت تلك الغريبة الرجل بذات النظرة، ابتسم هو باستسلام.

وبانت شبه ابتسامة شاحبة على وجهها.

مضى هو ومن معه.

وبقيت هي لوحدها تحدق اليه.

لطالما أحبته ولا تزال رغم انه لم يكن يوما لها.

أخذت وردتها ونظرت اليها مودعة وراحت ترفع ذراعها وتلقي بها بعيدا في الماء لتسافر هي الأخرى كما راح هو الى البعيد.

الى البعيد الذي يفصلهما الى الأبد.
لقد آن لها أن تنسى.

قطعة نقدية

لم تكن تَشعُرُ بحَرارةِ الصَيفِ آنذاك إذ لَم يَكنُ للصَيفِ هَذه السَطوة التي هو عَليها الآن، استشعَرَت نَسماتَهُ الهادئة التي تَحمِلُ كَمّا لا بأسَ به من الدعةِ وَسُكونِ الأجواءِ خُصوصاً وَهوَ في آواخرِه مُقبلاً عَلى أَيلول الذي يَتَوَعَدُ بتَحبُب بفَتح بَعض أبوابهِ التي تُطلُ عَلى الشِتاءِ الذي طالَما أَحبَت قُرَبَ عَودَتِه بشَوق وَلَهفَة وكأنَهُ يَعِدُها بالكَثير.

كانَت تَحثُ الخُطى للِحاقِ بأَخَتيها الاثنَتَين مَعَ والدَتها حَيثُ رافقَنَها لزِيارَةِ بيت أَحدِ الجيرانِ الذي لا يَبعُدُ كَثيراً عَن مَنزِلِ سُكناهُم حَيثُ أعتادَ أهالِي هذِه القَريةِ على التَزاورِ وَالتَواصُل، كانَت سمَتَهُم في هذِه القَريةِ المُترَابطة فالنَهارُ حافِلٌ بالعَمَلِ وَزراعَةِ الحُقُولِ وَ الاعتِناءِ بالأشجارِ وَعادَةً ما يَكونُ عَمَلاً مُرهقاً تَحتَ أَشعةِ الشَمس المُحرقَةِ التي تُضيفُ إلى حَياةِ الريفِ البَسيطةِ تَعَباً وَجُهداً إضافياً يَنتَهي بالتَرويح عِندَ الخُرُوج عشية كُلُ يوم لِتَبادُلِ الزيارات، إذ إن جَلسات اللَيلَ مِن الأشياءِ المُحَببة لَدى أهالي القَريةِ. كانت تَرقُب القَمر وَهُوَ يُراقِبُها مُبتَهجاً بنورِه، مُغتراً مَرحاً في عُمرِه الرابع عَشَرَ وَهُوَ يُنيرُ الطَريقُ للمارةِ مَعَ ظَلامِ الليلِ الذي تارةِ يَترَكَزُ في زَوايا مِن هذا البَيتِ أو ذاكَ وَتارةِ يَبدو واضِحاً نيرا، كَيف ذا وَمِن يُضاهي نورِ القَمرِ جَمالاً وَ سَكينةً؟

شَيءٌ مِن الفَرَحِ وَالزَهو حينَ تَذهَبُ إلى غَيرِ بَيتِها كأنَ سُكانَ تِلكَ البُيوتِ أفضلُ مِنهُم أو الأكثَرِ غِنىٍ، هكَذا كانَت تُراوِدُها الكَثيرِ مِن الأفكار.

استَقَرَت والدَتُها بَينَ جَمعٍ مِن النِسوة يَجلِسنَ عَلى إنفراد بَعيداً عَن الرجالِ الذينَ يَجلِسونَ هُناكَ أمامَ غُرفَةٍ مُخَصصةٍ للضُيوفِ عَلى فُرَشٍ صُفّت بنظامٍ مُتعارفٍ عَليهِ عَلى بَعضِ العُشب.

بَعدَ التَحيةِ وَالسَلامِ مَعَ مَعارِفِهم وَالحَديثِ عَن هذا وَذاك، كانَت النِسوة يَختَلقنَ بَعضَ القِصصِ للتسليةِ عَن الجِن وَالذِئابِ أحياناً مَعَ بَعضِ التَزييفِ البَرئ لأجلِ المُتعةِ لِبَعضِ الحَكايا.

انشَغَلَت هيَ بالنَظرِ إلى فَتاةٍ شَقراء كانَت تَجلِسُ أمامَ والِدَتها تَعبَثُ بِقطعةِ نُقودٍ مَعدَنية، مَرةً تَقذِفُها في الهَواءِ كَي تَلتَقطها وَمَرةً تُدَحرِجُها عَلى الأرضِ فَرِحَةً بِها شاعِرةً بالفَخرِ لامتِلاكِها إياها وَالغِنى أيضا.

كانَت تَسألُ نَفسَها لِمَ هذهِ الفَتاةُ شَقراءٌ تُشبهُ بَناتَ الأفلامِ الكَرتونيةِ، اللواتي كانَت تَرى فيهُنَ إنهُ يَنقُصُها الكَثيرُ مِما تَمَيَزنَ بِهِ مِن صِفاتٍ شخصيةٍ وَرُبَما مال.

لَم تَكُن تَرتَدي مَلابِس كَما تِلكَ وَلا جَمالا صافياً كَجَمالِ الأُخرى.

هي بَسيطةٌ في هندامِها وَسُمرَةِ وَجهها وَفي عائِلَتِها، لَم يَبذَخُ والِدُها عَلى نَفسهِ ما يَلذُ لَهُ حينَ يَستَلِمُ دَخلَهُ الشَهري رُغمَ إنهم يُعانونَ الفَقرَ وَالحِرمانَ لِمَ لا تُبالِ والِدتُها بهذا الشيء؟

انتبَهَت مِن غَفلَتِها عَلى صَوتِ قِطعةِ النُقودِ وَهيَ تَتَدَحرَجُ حَتى تَصِلُ أمامَها بَعدَ أن دارَت حَولَ نَفسِها كَراقِصةِ باليه مُحتَرِفةٍ حَتى

انخَفَضَت سُرعَتُها رويدا رويدا، لكنَها تَلَقَفَتها مُسرِعةً بيَديها قَبلَ أن تُنهي دَورَتَها حَولَ نَفسِها.
كانَ لتلكَ العُملة النقديةِ التي كانَت تُسَمى دِرهَما آنَذاك سَطوةٌ كَبيرةٌ وَسُلطانٌ مُهيبٌ عَلى نَفس تِلكَ الصَغيرةِ التي أخذَت القِطعة التي كانت تَحلُمُ دَوما بمَسك تَلكَ القِطعة وَبأن تَبتاعَ بِها حَلوى أو أيَ شيء آخر كَما يَفعَلُ أقرانُها، كانَ لَها مَنظَر جَذاب خَطير لا يَقوى عَلى مُقاوَمَته قَلبُ صَغير مَحروم.
هذا ما هَمَسَ بِهِ ذاكَ الصَوتُ المُتألِمُ داخِلَها، الَذي طالَ شُعُورَهُ بالحِرمان.
رأتها صاحِبةُ القِطعَة البنت الفقيرة وَهيَ تَلتَقِطُها وَتُخفيها وَراحَت تَهمِسُ لِوالِدَتِها وَتُشيرُ إليها مؤكِدةً لَامها إنَها سَرَقَتها، إلا إنَ الأم تَجاهَلَت ذلكَ مِن باب الخَجَلِ مِن النِساء القَريباتِ وَمِن بابِ عَدَمِ انتِباهها لابنَتِها حَيثُ شُغِلَت بالحَديثِ مَعَ الأخرَياتِ.
كانَت البنتانِ تَنظُرانِ لِبَعض، تِلكَ حَزينةٌ تَكادُ تَبكي عَلى ما سُرِقَ مِنها وَالفَقيرَة تَكالَبَت عَلَيها الأحاسيس حَتى فَرّت مِن الغُرفَةِ، لِتَعودَ إلى البَيتِ وَحدَها دونَ الأخرَيات.
كانَت تَشعُرُ بالخَجَلِ وَالألَمِ وَالفَقرِ وَالحاجة، كانَت تَضغَطُ بَينَ الحين وَالآخَر بيَدِها المُتَعَرِقَة عَلى تِلكَ القِطعة كأنَها تودِعُها إذ إنَها مُتاكِدةٌ إنَها لَيسَت لَها وَلَم تَستَطِع العَودة لإرجاعِها لِصاحِبَتِها، لا تَعلَمُ لِمَ.
رأت في الطَريقِ أحدُ الفتيةِ مِن أقرانها أعطَتهُ القِطعة وَبكُل بَساطَةِ، إذ إنَ ما يأتي ببساطةٍ وَسُهولةٍ يَذهَبُ بِنَفسِ الطَريقةِ الَتي جاءَ بِها قالَت لَهُ دونَ سابِقِ إنذارٍ:

ـ أتُريدُ نُقوداً؟
بَهُتَ الآخرُ قَبلَ أن يُجيب، إذ كانَت النُقودُ لِصبيان القَريةِ وَبَناتِها، فَرحَةً كَبيرةً أن يَمتَلِكها أحَدَهم.
ـ ماذا؟ أجابَ بدَهشةٍ وَعَدَم تَوَقعٍ.
ـ هاكَ إياها...خُذ هي لَك.
أخذَ القِطعةَ غَيرَ شاكرٍ لَها وَهوَ يُقَلِبُها بيَدِهِ كأنَهُ يُريدُ التأكُدَ مِن أي فئةٍ هيَ.
راحَت هيَ تَسيرُ إلى البَيت خالية الوفاض إلا مِن الألم الَذي طالَما غَرَسَهُ الأهلُ فيها بالحِرمانِ مِن أبسَطِ الأشياءِ الَتي يَمتَلِكها أقرانُها.
لَقَد خافَت أن يَعلَمَ ذَووها وَباقي الرِفاق وَأن تَنشُرَ البنتُ الأخرى الخَبرَ، كانَت تَشعُرُ بالظُلم لأنَها لا تَملُكُ الكَثيرَ أو البَعضَ مما تَهوى وَتُريدُ وَإحساسُها بأنَ اللهَ مَوجودٌ وَإن جَهَلت الكَثيرَ مِن عُلُوم دينَها طَبعا لِصغرِ عَقلِها وَإدراكِها، إلا إنَ الحَديثَ عَن اللهِ وَنواهيهِ لا بُدَ أن تَعرِفَ عَنهُ مِن هُنا وَهُناك.
امتَزَجَ هُناكَ الألمُ وَالرَغبةُ في الإبقاء عَلى تِلكَ القِطعة وَعَدَم التَفكير في إرجاعِها لِصاحِبَتِها وَذاكَ الإحساس الدَفين بعَدَم امتِلاكِ المالَ لأجلِ حَياةٍ رَغيدةٍ كالآخرين. لَم تَكُن تَشعُرُ إنها كَفّرَت عَن ذَنبها بسَرِقَتِها تلكَ القطعة حينَ مَنَحَتها بخيبةِ أملٍ وَخَوفٍ لِذلكَ الآخرِ وَضُعفِ قَرارٍ وَتَرَددٍ إذ لَم تَكُن تَنوي إرجاعِها.
نامَت وَالألمُ يَعتَصِرُها حَتى كانَ هُناكَ يَومٌ جَديدٌ.
يَومٌ رُبَما يُشبِهُ باقي الأيام الَتي سَبَقَتهُ، أن تَلهو وَتَلعَب وَهي بِحاجةٍ

للكَثيرِ مما يَمتَلِكنَهُ بَعضُ البَناتِ مِن رَفيقاتِها، لَطالَما تأمَلت ما بأيديهِنَ وَحَلُمَت بامتلاكهِ.
لِمَ لا تَمتَلكهُ؟
مَا الذي يُميزُ الأخريات عَنها؟
أهو ذَنبُها؟
قَطعا لَيسَ ذَنبُها.

تبا لذكراها

رغم أنها تزوجته وأنجبت منه وتخلصت من زوجته الأولى مريم، صار البيت لها والزوج والأولاد إلا إن الغل في قلبها والحقد على مريم يحطم أعصابها ولا ينتهي.

توسلته مريم أن يبقي عليها في بيتها فهي تحب كل جزء فيه.

صعب ومؤلم أن تترك كل زاوية فيه وكل ركن، في كل مكان لها ذكريات.

بعد طلاقها ماتت كمدا ولم تعد لها ذكرى.

هناك في بيت أهلها حين توفيت بعد أشهر من الطلاق.

هي زوجته الثانية، ريحانة، ريحانة قلبه التي عشقها وتزوجها رغم بكاء مريم ونصح الأصدقاء والمقربين.

ريحانة الزوجة الجميلة الولود، هي كل ما تمنى، لكنها لا تستطيع أن تقتنع إن مريم اندثرت وانقرضت من البيت ومن دنيا الأحياء.

المطبخ يغيظها تصفيف قطعه فهو ذكرى منها.

الحديقة هي من غرس شجيراتها.

ماكنة الخياطة لا زالت قرب نافذة غرفة مريم العلوية، مركونة هناك يغطيها الغبار، لم تتركها تأخذها بحجة أنها ملك زوجها وستخيط بها لاحقا

الستائر، الصحون والعلب الملآى بالحبوب المرصوصة بنظام في غرفة صغيرة ملحقة بالمطبخ.
جارات ريحانة اللواتي ترى رفضهن لها رغم مرور سنتين على زواجها من يونس.
حتى يونس!
كان فرحا بها وبأولادها وبحياتهما، لكنه رويدا رويدا صار يخبو وينطفئ.
صار ضميره يجعل من أيامه تتآكل ببطء معذب.
يدرك بصمت انه ظلم مريم بتطليقها والزواج عليها بحجة أنها لا تنجب.
ما نفع الأولاد الآن؟
كان يتمنى لو بقيت على قيد الحياة على أقل تقدير ولو منفصلين كي لا يشعر بوخز الضمير.
كان هذا حديثه مع نفسه هذه الأيام.
كانت مريم امرأة مرتبة، تهتم ببيتها وبعلاقاتها مع الجميع إلا إن الله لم يقدر لها أن تلد رغم سنين زواج.
حتى طالت ريحانة من حياتهما وأجبرته على تطليقها، لكنها لم تهدأ ولم تنس كرهها لمريم.
تشعر بفراغ مهما شغلت نفسها ببيتها وأولادها.
تشعر أن طيف مريم موجود في البيت وكأن ريحانة ليست صاحبة البيت
يغيظها أن ترى يونس في معظم الأحيان شاردا حزينا ساهما.

أحيانا تعتقد أنها متاعب الحياة والعمل.
لكن أحساسها لا يقول ذلك.
انه يفكر بمريم اللعينة التي طلقت وماتت لكنها ما تزال تشاركها السكن، إنها موجودة رغم أن ريحانة حاولت تغيير تصميم المطبخ حتى لا تبقي لها من اثر.
اقتطعت شجرة البرتقال الضخمة التي طالما اعتنت بها مريم بحجة أنها تطرح الكثير من الأوراق اليابسة مما تجعل الحديقة متسخة ومنظرها غير جميل.
عبثت يداها بكل شيء رصته مريم كي لا تراها.
أين يونس؟
افتقدته كما تفتقده هذه الأيام كثيرا، كأنه ليس معها.
خرجت من غرفتها باحثة عنه دون أن تحدث صوتا أو تنادي عليه.
ليس في مكتبته ولا في غرفة الضيوف، ليس في الحديقة ولا يشرب شيئا في المطبخ كما اعتاد الجلوس هناك وحيدا على تلك المنضدة المشؤومة التي ابتاعتها يوما مريم وخصصتها لشرب شاي أو شيء آخر بسيط في وقت العصر.
ارتقت السلم باحثة في الطابق العلوي الذي تمقته والذي يحتوي غرفة مريم.
كان باب غرفة مريم مواربا.
ذعرت حين رأته وخافت من الذي يفتحه وهي تغلقه دائما بالمفتاح.

دفعت الباب بهدوء وخلسة لترى يونس يتصفح ألبوما بين يديه وهو جالس على كرسي أمامه منضدة، ضم الألبوم صورهما معا هو ومريم وكل ذكرياتهما، لم تكن ريحانة تعلم بوجوده، وعدها يوما انه قد احرقه.

أبطال الوهم

رفعت شعرها الى فوق بكماشة ذات ورود زاهية بيضاء كي لا ينسدل وهي تكتب.
راحت تفتح دفترها وترتدي نظارتها، هناك أبطال روايتها ناموا منذ أشهر همومهم التي تركتها بدون حلول جذرية.
ما أن رأوا النور يدخل عليهم من عالمها الى عوالمهم الورقية الحالمة حتى استبشروا خيرا وشوقا بقدومها ممسكة بقلمها مصممة على أن تنهي ما أدخلتهم فيه من أحزان ومشاكل لا يعرفون هم أنفسهم كيف الخلاص منها.
استيقظ الألم وأشجان الشخوص.
هناك ذاك الرجل المسن فؤاد لا يزال يرزخ تحت وطأة مرضه وتدهور صحته يدنيه من نهايته.
وخادمته الودود هدى لا تزال عالقة بين وهم أن يحبها عماد ابنه وبين أن تكون زوجة موقرة لنزار الذي أحبها بصدق حيث أن روحها تختلف عن قوافل النساء اللواتي عاشرهن حتى مل.
لا وجود لأي احتمال أن تطلب لمياء والدة هدى الصفح والغفران من حين تركتها يوما طفلة رضيعة في المهاد لأب وزوجته أذاقوها المر حتى صارت خادمة لدى فؤاد.

الكل يستنجد، الجميع يصرخ.
هم يرفضون أن يبقوا سجناء أوراقها بلا نهاية مقنعة لما أقحمتهم فيه.
تركت دفاترها وروايتها طويلا وانشغلت الآن حيث عادت لا بد من أن تضع الأمور في نصابها.
لا بد من نهايات يقنعوا بها هم قبلها،فهم أصحاب الحكاية، هي مجرد محرك.
أقاموا هناك ثورة فوق سطح ابيض من دفترها:
- لن تغلقي علينا طيات دفترك قبل ان نتباحث فيما يخص مصائرنا.
سمعت صوت الساعة تدق فجرا ثلاث مرات رتيبة، آخر وقت ممكن تبقى فيه يقظة حيث التزاماتها الكثيرة بين طفل بالكاد استطاعت أن تجعله ينام وزوج راح يتقلب في فراشه متحسسا فراغ مكانها الى جانبها.
ألقت قلمها قبل أن تكتب حرفا، وضعت نظارتها في علبة زهرية اللون.
صرخ أبطالها، ضجر المريض من طول الرقاد، ملت الثكلى كثرة النحيب والحزن، تاقت هناك شابة لحبيب يكبرها بسنين.
أغلقت الكراس، ضغطت على أذنيها بيديها كي لا تسمع الكثير من الطنين الذي يحاصرها.
يكفي!
سأنام، ربما اكتب غدا.

هناك باتت أصوات مكتومة تخرج من طيات الأوراق البيضاء التي ما زالت تنتظر أن تمتلئ بحبر تحرر الأحداث من ركودها الذي تركته ومشت.

لم تستجب، ألقت بنفسها متهالكة على الفراش، مرهقة من قراءة كتاب، ترجمة نصوص، قصائد الأصدقاء باحثة عن تحليل نقدي،كومة من الأعمال المنزلية والارتباطات خارجه، هناك راحت يد زوجها تلتمس طريقا نحوها.

أقفلت جيدا على أعضاءها وتكورت بحجة البرد على نفسها هاربة من ارتباطات أخرى!

يده تستمر باحثة عن مبتغاها.

امتلأ عقلها بهموم من أغلقت عليهم أوراقها وتركت قربهم قلمها وفنجان قهوة نسيت أن تغسله قبل النوم.

في الحلم، في عالم الغياب.

كان هناك جمهرة من الناس، رجال ونساء، أطفال تصرخ، كانت قاضية ترتجف يداها من مسك المطرقة لتقرر مصائرهم.

أي وادٍ سحيق زلت قدمها فيه وهي تحملهم على أكتافها.

نساء الضباب

لم يمض على تعارفهما وقت طويل حتى كانت تلك الليلة التي ثرثرا فيها كثيرا عبر الهاتف، كانت هي أول من طالب بإنهاء المحادثة مبررة ذلك بأنها لا بد أن تنام وتقرأ قليلا أحد الكتب التي تحرص على أن تبقيه قرب وسادتها.

ليس أجمل من أن تنام وعلى وجهها كتاب.

هي تعلم انه سيبقى وحيدا بلا رفيق، فالجميع نيام لديه، وان كانوا يقظين!

كانت تريد له أن يغير ملابسه التي لا بد أرهقته طول النهار وان يأكل شيئا أو ربما يتابع التلفاز.

قرأت قليلا حتى لم تعد تشعر عند أي سطر وقفت ومتى التحمت اليقظة بالحلم.

هو،انتظر قليلا عسى أن تعود ويكملا حديثهما.

هي لم تعد، راح هو يسير ببطء الى غرفته، نظر الى زوجته كانت نائمة، لم يشأ أن يوقظها،لا داع لذلك، هي الأخرى لن تستجيب.

وضع ملابسه في مكانها بملل، كأن يديه تتوق أن تأخذ هي ملابسه وتضعها في الدولاب.

ربما في قرارة نفسه كان يود أن تستقبله زوجته استقبال حبيب وتلقي

عن كاهله تعب النهار أو على الأقل استقبال ضيف.
اضطجع في فراشه وفي ذاكرته تعاد تلك المحادثة الأخيرة مع تلك البعيدة.
كان يود رؤيتها حتى دخلت عليه حلمه فجعلته ضبابا.
كأنه رآها امرأة واضحة القسمات في الحلم، لكن هذه الفكرة تلاشت واستقرت أخرى بدلا عنها.
كلا لم يرها...كانت مجرد ضباب.
في اليوم التالي أصر على أن ينقشع الضباب وأن يراها.
اتصل بها...طلب ذلك وكرره مرات.
لم تعده بشيء.
تبا للنساء!
أتنوي إيلامه كتلك النائمة؟

سيدة القصر

سحبت شالها المزركش بالكثير من القطع المعدنية الذهبية ذات الأحجام المتباينة التي كانت تحب إيقاع خشخشتها وسماع صداها في البيت.

حوطت خصرها به وراحت تصنع فيه عقدة عند أحد الأطراف متهيأة لرقصة شرقية تجتذبه بها ليبقى معها في البيت فترة أطول.

سحبت يديه واضعة إياهما على محيط خصرها تاركة ذراعيها يحوطان عنقه وهي تتمايل قليلا بعد أن ضغطت زر التشغيل وراحت أنغام الموسيقى الهادئة تنسكب في أذنيها معلنة بدء جولة لم تبدأ إثارتها بعد.

قبل جيدها برتابة وملل ترضية لها وشكرا لما تبذله لإرضاءه وللبقاء معه أكثر حيث كثرة انشغاله تبعده كثيرا عن البيت.

بدأ رنين جهاز المحمول، بدا عليها الضجر وبدا عليه التوتر من غضبها وفي نفس الوقت كان ينظر جهة المحمول، يتوق لمعرفة هوية المتصل وماذا يريد.

رجل أعمال لا يجوز أن يغفل كثيرا وطويلا عن عمله، لا بد من المزيد من الأرصدة، التوسع في المشاريع، النفوذ وكل ذلك.

ابتسم قليلا لها كأنه يستأذنها ليرد على رنينه المتواصل.

أخفض ذراعيها اللتين راحت ترخيهما بضجر على جانبي جسدها كمن ينتظر إشارة ما.

- أخبار لذيذة يا باشا، أستحم وأكون في أجمل هندامي، أنا قادم.

بقيت صامدة مكانها، إذ إنها اعتادت مثل هذه المقاطعة كل حين.

لم تشكو، لم تتذمر، كان داخلها يضج بما فيها.

- لا بد أن أخرج، صفقة ولا أروع، هناك هدية ولا أجمل لك، سآخذ حمامي بسرعة.

كان يكلمها كأنه يسترضيها بهدية بعد أن فشلت سهرة الليلة كبعض سابقاتها.

اقترب ليقبل وجنتها إلا إنها أشاحت بوجهها جانبا رافضة أي محاولة لتهدئة الوضع.

مضى في طريقه غير مبال، إذ لا وقت ليضيعه في ترهات طالما آمنت بها النساء حسب اعتقاده.

نظرت الى فستانها الضيق الذي يضئ هنا وهناك على انحناءات جسدها وقررت أن ترقص لذاتها.

كان يرقبها من النافذة بعد أن أكمل تنظيف السيارة التي لا اتساخ يعلوها ولكن فقط ليثبت جدارته في العمل لديهم كسائق.

ألقى بقطعة القماش التي كان ينظف بها جانبا فوق السيارة وراح يتكأ على مقدمتها وهو يراقبها باهتمام وتفحص.

حرام أن تترك امرأة ترقص لوحدها.

همس في سره وهو يتابع حركات جسدها مع الموسيقى.

امرأة ممشوقة القوام، شعرها ينسدل الى منتصف ظهرها ويتمايل مع رقصها.

جسد جميل مثير ملأ الثوب واكتظ به وعجيزة كادت تودي به في واد سحيق من التوق واللهفة وهو يراقب بصمت كل حركة فيها.

هناك طالما تلوت تلك السلسلة التي تحوط جيدها نزولا نحو صدرها بعبث ونشوة مع تلك القطعة الذهبية في أسفلها.

رفعت شعرها بذراعيها وهي تقلد مشاهير الراقصات وتتلوى كأنها ثملة مع أنغام الموسيقى التي عادت تصدح بهدوء وبطء مما زاد من لهاثه وهو يرمقها بعطش رجل لم ير امرأة ترقص قبلا أمامه.

لم تكن تبتسم وهي ترقص، بل كان يبدو عليها الوجوم.

رأى إن يديه تحوطها بحنان وتندفع معها لمشاركتها هذه الليلة المجنونة التي لم ير مسبقا مثلها، رغم إنه طالما كان يسمع صدى موسيقى تنبعث من البيت وطالما علم بتفاصيل صغيرة عن نوع الحياة في الداخل الذي بدأ الخدمة فيه قبل سنين خلت ولا زال.

رحبت بيديه واضعة يديها فوقهما ومستمرة بالتمايل مع جذبه إياها إليه، مالت برأسها على كتفه وراح هو يشم عبير شعرها ملتمسا بيديه الطريق الى كل ما يلذ به جسدها الثائر.

هي تريد أن يشارك رقصتها زوجها وهو يريد أكثر.

وها أنا ذا.

شعرت بأن الأرض تدور وكل أجزاء البيت معها.

لكن صوت الموسيقى توقف.

وهي ليست بين يديه.

ما الذي يجري؟
أطفأت الجهاز وراحت تبكي منهارة على إحدى المقاعد بنحيب مكتوم، تهتز له كتفاها وينتفض جسدها الذي كان متقدا قبل لحظات عكس هذه التي عليها الآن.
رأى إنه لا يزال لدى السيارة ولم يكن قد حرك ساكنا بانتظار سيده ليأخذه الى وجهته.
أين هو من كل تلك الفتنة الضمآى؟
صارت تبكي بصوت عال.
وصار هو يقهقه بصوت عال حتى سالت مدامعه وهو يلتف حول السيارة جيئة وذهابا.
يملكون الكثير ولا يمتلكون أشياءً أخرى.
وهو، ما الذي يملكه وما الذي ليس لديه هو الآخر؟
المال، الزوجة الفاتنة، أم ماذا؟
وهل كل النساء نساء كهذه،أم كان الرجال سواسية؟
قطعت سلسلة أفكاره بحضور الرجل ببدلته الأنيقة وعطره الفواح.
آن الوقت للانطلاق نحو حياة أخرى.

فراغ

دَفَعَ بِملعَقَته حَبات الأرز الساخنة في الطَبَق أمامه هُنا وَهناك لِعَدم وجود شَهية للطَعام،مُطرَق الرأس جَريح الفؤاد بَعدَ ذاكَ الصَمتَ الهائل الحَزين وَالفَراغ المُرعب الذي خَلَفَهُ رَحيلُ والدَته المُبَكِر الى عالم مَجهول لا يَستَطيعُ عَمرُهُ الصَغير أن يَستَوعبَ أسبابهُ.

أجبِرَ عَلى القيام بالكَثير مِن الأعمال فِي البَيت قَدَرَ المستطاع متعاوناً مع والده ومحاولاً منحَ ما يقدر عليه من حنان وعطف لأخيه الصغير.

نظر الى الكرسي الرابع الفارغ!

لم يعد هناك من احد يملأ وحشة ذاك الفراغ الشاسع الذي صار يتسع يوماً بعد آخر لافتقاده لأمه وحنينه لها.

ران على وجه والده التوتر وثمة ما يريد طرحه للعائلة الصغيرة:

- البيت بحاجة لامرأة تديره وتهتم به.

قالها بشكل متردد وكأنه يريد إزاحة ثقل على صدره،كان يرقب ابنه البكر بين الحين والآخر أثناء الطعام والكلام.

شعر الابن الأكبر بأن هناك قوى خفية جبارة تجعله يذرف الدمع مدراراً ويمتلأ حزناً واسى ويسأل نفسه مراراً:

- لمَ رحلتي يا أمي؟

ألمْ تشفقي أمي علينا؟
لو انتظرتِ مزيدا من الوقت...
سقط الدمع في الطبق الذي أمامه وهو لا يزال يعبث بحبات الأرز التي أمامه.
كان يرى طيفها يأتيه حنوناً ليمسح بحنوٍ دمعه الساخن وينهي غصة تكاد تخنقه وهو يحاول كظمها أكثر.
سُمع صوت يبكي بمرارة ونشيج لا ينقطع، كان بكاؤه يقطع الصمت الذي ساد الجلسة وينهي وجبة غداء لم تكتمل.
أطرق والده أيضاً شفقة عليهم وراح الطفل الصغير يكمل طعامه ببطء وتردد وهو ينظر الى والده وشقيقه يجهل كيف يعبر عن فقده لأمه رغم بكاؤه المستمر وسؤاله عنها ولِمَ لم تعد الى الآن بعد أن أقنعه الآخرون أنها في رحلة الى السماء الجميلة البعيدة حيث مروج خضراء وسعادة غير منقطعة وخلود دائم.

مظلة تحت المطر

كان يحث الخطى خلفها وهو يحمل مظلته والمطر لا يزال ينهمر بهدوء متواصل وهي الأخرى تحاول أن تتقي المطر بمعطفها وبحقيبتها تارة أخرى محاولة الوصول الى أقرب ملاذ بسرعة.
أقترب منها كي تكفي المظلة لكليهما وقال مبتسما:

- ستمرضين.

نظرت إليه وقد شعرت بالطمأنينة قليلا لأن المطر لم يعد يصر عليها مجددا بحباته المتسارعة في الوصول لهدفها، وبالإحراج أيضا حيث تسير معه تحت مظلة واحدة وبهذا القرب.
نفثت بعض الهواء من جوفها في أصابعها المتشابكة عسى أن تحصل على بعض الدفء مما جعله يعض بأسنانه على إحدى خفيه لترتديه هي:

- لك هذا.

وراح يخلع الآخر.
ابتسمت محرجة:

- لا أرجوك، دعها مناصفة، واحد لي والآخر لك.

وراحا يضحكان، إلا إنه خلع الآخر وقدمه لها دون تردد، أخذته شاكرة باسمة الثغر على إصراره:

_هل أعتدت على إنهاء أي موقف بهذا الإصرار؟
ابتسم ابتسامة صفراء شاحبة ثم وجم ونظر الى أمام ولم ينبس ببنت شفة.
بدا عليها القلق، ترى لم وجم بهذا الشكل:
- عفوا،هل هناك شيء؟ أعتذر إن كنت...
- لا شيء، ثم تصنع الابتسامة.
- لكن...
أكمل هو إذ رآها في حيرة من أمرها بعد تنهيدة حرى:
- للإصرار ذكرى أليمة في نفسي.
كنا نسير سوية، لم أكن أعني دفعها، كنا نمزح، أنا أصر على رأيي وهي تحاول ثنائي عن عزمي، لم أنتبه للطريق و...توقف عن الحديث
وعن السير وراح يبطأ ألما من تلك الذكرى .
ضلت ساكنة لا تعرف كيف ترد .
المطر زاد من قوته، صوت قطراته راح يضرب بعنف المنازل و الشوارع .
زا د وقعه فوق المظلة، تكاد لا تقدر على ابتلاع لعابها وهي تنظر إليه وهما محتجزان تحت المظلة.
امتدت يدها مربتة على كتفه ومعتذرة على شيء لم تكن تعني به أن تذكره بشيء يخصه وهي لا تعلمه مسبقا، إنها كانت تعلم إنه كانت له زوجة متوفية اثر حادث ما .
بقيت واجمة لا تعرف بم ترد، هو الآخر كان شارد النظر مع المطر

كأنه يحاول عدم إحياء تلكم الذكرى .

وصل موقف انتظار الحافلات، أغلق مظلته وتركها جانبا تقطر ماءا وراح يجلسان،هي تحاول تجفيف بعض البلل على ملابسهما و تنظر إليه هو راح يخرج من جيبه جهاز المحمول مظهرا صورة له ولزوجته وهما يضحكان بمرح حين كان يرشها بخرطوم للماء.

- يكبر الألم حين يرقب صورا للذكريات كنا فيها نبتسم ونضحك، كأننا لا نستطيع أن نضحك بعدها .

وصلت الحافلة .

أسرع قبلها داعيا إياها للحاق به، مد يده لها كي يلتقط يدها ليساعدها في الصعود أعطته يدها ليجلسا في مكان قرب النافذة، حيث أجلسها قبله، راح يمازحها بكتاب اسمها على الزجاج وهو يقترب منها أكثر ويضع ذراعه خلف ظهرها على حافة المقعد العليا،نظرت إليه وهو يبتسم وكأنه ما كان قبل لحظات واجما،نظر إليها طويلا، ابتسمت وابتسم ضغطت على كف يده كأنها تطمأنه أن في الحياة المزيد الذي ينتظره، تنفس الصعداء وراح يضغط أكثر بيده الأخرى على يدها.

- لقد نسينا المظلة .

ابتسمت وهي تقول.

- ستكون هناك آخرى أجمل منها .

زادت سعة ابتسامتها، زاد هو ضغطا على كف يدها، شعر بأن ماء الحياة يسري داخلهما بحيوية و نشاط وعذوبة . مد ذراعه يحوطها بشكل كامل على محيط خصرها .

أطرقت هي قليلا و هي تميل إليه مستشعرة دفء رفقته و قربه منها .

كان المطر لازال ينزل بتلك الزخات المستمرة التي تصنع سمفونية عذبة خاصة تمنح الحياة ألقا ونشوة .

بعيدا عن الأرض

جدي!
جدي هو كل ما تبقى لي من جراء حروب شعواء لم تبق على الأخضر واليابس، حروب لم تبق ولم تذر.
أكاد أشم رائحة البصل وغليان الرز وأنا أضع لك حساءك المفضل لديك أو الطعام الذي تستطيع هضمه بعد أن أثقلت السنون كاهلك وكذلك الهموم الجمة، أو ربما أحببت أنت هذا النوع من الطعام لأننا لا نملك الكثير إلا اليسير الذي نضعه على النار لنضعه عدا صدقات بعض من المحسنين والمرائين وما فاض منهم وما جادت به خزائنهم.
أكلنا أنا وأنت بقايا الطعام من جارتنا أم بشار التي كانت تبعث ما فاض من حاجتها وبعد أن تأكل ويبقى ما لا يستسيغه أحد وتقليدا لشقيقة زوجها التي كانت ترسل لنا كل ما تقدر عليه عن طيب نفس وخاطر.
كانت لنا أيام طوال عانينا فيها الكثير من الأحزان والذكريات على من فقدناه جراء الحرب التي لا نعرف فيها من هو العدو الحقيقي، الذي جاء من خارج البلاد أم الذي يسكنها؟
«اليوم موعد حمامك جدي!

أتعلم؟
حين أضع الصابون على رأسك، أخشى أن يدخل في عينيك فتتذمر كالصغار، كنت أخشى على جسدك حين أطهره بالماء، أن أكون أنا من يقوم بذلك حين...!
شيء مؤلم أن أتخيله»
«حين كان لدينا بيت وعائلة، كان يعاملنا الجيران باحترام واهتمام أكثر، حيث أبي وإخوتي وذاك العالم الذي غدا بعيدا، بعد السماء عن الأرض، الآن لا أحد يبالي، الكل منشغل بنفسه، يكاد لا يذكرنا سوى في صحن طعام مما يحبون منحه لنا شاكرين طرقهم على بابنا الأخرس»
«جلسنا أنا وأنت ذات مساء لوحدنا، لا يكاد يجمعنا حديث، إذ ما الذي سنقوله ولم يزل الدمع يسكن مآقينا؟
حدثتني أنت كطفلة صغيرة تريدها أن تغفو إثر قصة تنتهي نهاية سعيدة للأخيار، وللأشرار نصيب الكوميديا أكثر منه العقاب، كنت تحكي محاولا إضفاء بعض حياة على وحدتنا وكما من العزاء على كل ما مضى وما نعيشه الآن، أنا كنت أبكي بصمت وأنت تسهب في الحديث.
أين من كان يصغي لهذه القصص؟
أين الدار وأحبابها؟
هناك ضحكات إخوتي، وهناك أبي تستقبله أمي بمزيد من العتب على تأخره في العمل.
أشجار الرمان وما غرسناه من عنب غطى ممشى الدار.

لم اختار الله أن يرحل الجميع إلا نحن؟
لنتألم ونعاني الجراح.
أشفقت وقتها عليك وأنت تحكي فرحت أنتبه إليك كي لا تشعر بمزيد من الوحدة.
نعم جدي...أنا أصغي»
يده ترتعش وهو يقلب بدفتر قديم لمذكرات حفيدته وهو لا يكاد يرى أغلب الكلمات.
خرجت ذات صباح لتجلب بعض الحاجات من محل قريب بعد أن جمعت مبلغا بسيطا من إحسان الناس المجاورة في فترة ظنوها هدنة من القصف والدمار وظنا إنهما ابتعدا عن المناطق الأكثر سخونة، لكنها ما عادت كما كانت تفعل سوى أجزاء لحم جمعت لجثة امرأة هامدة.
كانت تعني له كل الحياة، كل ما يربطه بالحياة.
والآن لمن يعيش، ولم؟ وكيف؟
كان ينتحب ألما على ما حوله.
بدأ القصف العشوائي مرة أخرى، سمع صراخ الأطفال وعويل النساء، يداه ترتعش وهي تمسك بذاك الدفتر، حاول النهوض ليرى ماذا يكون رغم ضعف بصيرته الذي صار يزداد وضعفه بشكل عام.
بالكاد وصل باب الغرفة المهترئة التي سكناها وهما يبحثان عن أي مأوى.
ازداد القصف وأصوات البنادق تعلو لتزيد من الخوف المستمر

الذي لم يعد ينتهي.
شعر بسائل دافئ يسيل من رأسه وينحدر على رقبته نزولا.
خارت قواه، سقط الدفتر من يده، وهناك كان سرب حمام أبيض يطير محلقا في الأعالي.
ما أجمل أن تشعر بأنك كطير حر آمن في السماء، لا شيء يعنيك في الأرض، بل إنه من الجميل أن تحلق بعيدا عنها.
هناك حيث كل من رحلوا وتركوني وحدي، وصغيرتي التي كانت لي السكن والمأوى.
هناك لا ألم لا فراق.
سعادة وخلود.

أرق

سحبت الغطاء منه حين شعرت برجفة وبرودة سببها شعرها الذي لا يزال مبتلا، لم تتح لها فرصة تجفيفه بدقة، انتبهت الى أنها قد جردته تقريبا وهو غارق في النوم حتى انه قد نسي سماعة الأذن بالقرب منه وقد اختفى احد أطرافها تحت وسادته وربما كان الهاتف لا يزال مفتوحا، أخذت السماعة ووضعتها هناك بالقرب منه.

وأخذت تتدثر جيدا بعد أن أعادت تغطيته لكيلا يبرد، أغمضت عينيها عسى أن يعود النوم بعد طول هجر وجفاء، لكن هيهات ان يعود ما قد سكب وأن تلتئم الجراح، أما آن لتلكم الشظايا المتكسرة من روحها أن تعيد بناء ما هدم؟

كيف يغفر الله الخطايا عن طيب نفس وكرم، وهي المخلوقة الصغيرة التي لا تعني في هذا الكون شيئا، لا تستطيع أن تغفر لنفسها.

غيرت من وجهة نومها عسى أن تهزم تنغيص الوسواس لها وتأنيبه على ما فعلته مع ذلك البعيد.

راحت الأحداث تعيد نفسها كأنها ما كانت قبل خمس سنين، بل كأنها البارحة.

رأت نفسها معه هناك حيث تلك الذكرى المؤلمة تذوب بين يديه وتستسلم لينال من رحيق شفتيها المحرم.

وهو يطوقها محاولا نيل المزيد في ظل توقها له حتى أفاقت على نفسها واستشعرت فداحة ما هي ماضية اليه:

- كلا...ماذا نحن فاعلان؟

حاول معها أن هلمي .. لكنها عادت لوعيها ..كلا ..لا يجوز.

- آه...ربي كيف أسامح نفسي على قبلة يتيمة كادت تودي بحياتي؟

أرادت أن تشرب رشفة ماء لتبل جوفها المستعر ألما وندما، تناولت كأسا قريبة من جانبه هو، كانت بضع قطرات لا تفي بأن تخمد النيران المستعرة الى الأبد.

تدلى شعرها فوق وجهه، ضايقه حتى صحا:

- ماذا تفعلين؟ إلا تنامين .. لم تتقلبين كثيرا؟

عادت الى مكانها وهي تنظر اليه ينام بعمق وأمان وضمير مطمأن.

ليتها تغفر عشقها للآخر...ليتها تنسى، وكيف تنسى وهي تحتفظ له بعشق لا ينتهي وبرقم نسائي كاذب يسكن هناك بين طيات أسماء الصديقات لديها؟

استدارت الى جانب آخر تستجدي النوم الذي بات عصيا وعزيزا لا يطال.

كانت ناعمة البال، لا يعكر صفو حياتها رجل.

شعرت بيده تلتمس الطريق اليها حتى طوقها من الخلف وراح يلملم عليها الغطاء.

أغمضت عينيها كي تنام والآخر يملأ عليها الواقع والأحلام وكل الذي كان.

عابثة

ثارت غيرتها واستعرت حين رأت جارتها الجاهلة العانس تبدو عليها علامات الفرح وهي تجلس مسترخية في أرجوحة قديمة تصر على الحفاظ عليها عرفاناً بذكرى والدتها التي ابتاعتها يوماً بعد جهد لجمع المبلغ و شراء جهاز محمول بسيط لابنتها.

كانت تنظر الى الشاشة وهي فرحة...بالكاد تقرأ بعض الكلمات، لكن الأمر يصعب عليها أكثر إن أحبت الرد على رسالة نصية فيه.

باغتتها من باب الفضول والحسد على فرحة بسيطة كانت تتوقع مسبباتها لابد إنها تعرف الكثير عن الجهاز وعن سر تلك الفرحة البادية على محيا جارتها البسيطة، نادتها هي من فوق السطح أن هلمي إلي.

- هناك رقم غريب يكتب لي!

قالتها بخجل وفرح...لكن يصعب علي الرد...والرد المناسب.

قالت الجارة بعد أن استفهمت منها رفقة سر ابتسامتها تلك.

_أنا سأكتب لك...أعني له.

وضحكت بمكر ونية مبيتة.

كتبت وكتب...وكانت تقرأ بعضا وترسل أشياء أخرى وتحذفها بسرعة دون أن تنتبه الأخرى.

كانت أكثر تواصلا معه في الاتصال أما الرسائل أغلبها تركتها للأخرى لكنها كانت تخفي إنها تحاكيه صوتا في الليل وأحيانا في النهار.

اتفقا أخيرا على اللقاء هي ترفض دوما خوفا أن يرفضها لشكلها أو لشخصها لكنه يصر وحدد الموعد ونوع الملابس التي سيعرفان بعضهما من خلالها.

شعرت هي بالحيرة، استنجدت بالأخرى، رفقة جارتها اللعوب التي تكتب الرسائل.

وكان الموعد.

انتظر هو، حضرت هي.

لم يكن الصوت يختلف عما كان يسمعُ قبلا.

شعر أن هناك أمراً مريبا، إذ إن من كانت تحدثه لا يشبه صوتها من تجالسه الآن.

في آخر لحظات الاتفاق، حرفت رفقة تفاصيل اللقاء، لترى أن أعجبها استمرت باللعب وان لم يكن فستجد مهربا.

تحدثا كثيراً، كان قد أعجبها، هي تتحدث بما كانت تكتب لكنها تجهل الكثير مما كان يدور في الاتصال الصوتي بينهُوبين جارتها .

هو أدرك أن هناك شيئاً.

أستأذن منها للحظات ليجري اتصالً على بعد مع أحدهم لظرف طاريء

اتصل على الرقم الآخر المعتاد وجاءهُ الصوت الآخر وليس الذي أمامهُ سألها :

- لَمَ لَمْ تأتي على الموعد .

جاءته الردود وتوالت الأسئلة حتى ودعها على موعد للقاء جاد.

عاد الى رفيقته :

- أين كنا قد وصلنا؟

وراحت تحكي له كم سهرت من الليالي بانتظاره.

وكم تهيأت لهذا اللقاء.

كان يصغي مبتسماً هادئاً.

وحدة

جلس الرجل المنهك القوى في ظل شجرة التوت الوارفة الظلال على ارض نصفها معشوشب ونصفها عار من كثرة السير عليه ذهابا وإيابا حيث أعمال الحقل المرهقة ومتابعة سيرها يوميا.

رجل في منتصف الأربعين من العمر، كانت الى جانبه صرة طعامه تنتظره هناك تحت الشجرة.

كان مرهق حتى أن يديه تتكاسل من أخذها وفتحها لتناول غدائه البسيط الذي صنعه بيديه ووضعه في قدر صغير مع رغيفين من الخبز وحبتين صغيرتين من البصل الأخضر.

كان في بادئ الأمر يحرق الطعام، الآن اعتاد أن يطبخ لنفسه بسيط الطعام بعد خلو بيته من أي امرأة.

تنهد من أعماق قلبه بعمق وأسف إذ يتذكر زوجته التي هجرته منذ أشهر بلا عودة بسبب خلاف دار بينهما.

تراها، أيخطر لها على بال؟

أهان عليها ورخص حتى تعتكف بيت أهلها كل هذه الشهور؟

أترى المرأة أن الرجل بلا كرامة، متى ما هجرت بيتها وزوجها وجب عليه اللحاق بها وترضيتها حتى وأن أخطأت؟

أيجب أن يبادر الرجل في الصلح مهما كانت ظروف المشكلة؟

تذكر الليلة الماضية كانت من ضمن الليالي العجاف الكثيرة التي ذاق ويلاتها منذ تركت البيت.

كيف يختلف زوجين رغم مرور كل هذه السنين، رغم انه لا سر بينهما، ما تخفيه عن الآخرين تبوحه لزوجها.

هل الفقر وبساطة الحال تعيب الرجل؟

هبت نسمة عليلة من بين الأشجار مرورا بإحدى السواقي المليئة بعذب الماء ورقراقه على وجهه فأنعشت روحه الضمآى لنفحة أمل.

لاحت ابتسامة على محياه، تذكر يوما كيف كانت تداعبه تحت هذه الشجرة مؤكدة له أنها ستصبر على بساطة الحال حتى يرزقهما الله من مشروع صغير كانا قد خططا له مع احد الرفاق.

نظر الى الأرض وراح يخط بعود رمان يابس على العشب خطوط وطلاسم لا يعرفها.

رفع بصره الى السماء، ابتسم ابتسامة ساخرة اكثر اتساعا من الأولى.

اضطجع على الأرض واضعا يديه تحت رأسه وقرر أن يغمض عينيه ويستكين.

أراد أن تزوره في الحلم ما دامت قد استعصت عليه في الواقع.

غصة حنين

مسحت بأطراف أصابعها على بعض من كتبه كأنها لا تريد أن تتأكد من وجود بعض الغبار هناك بقدر ما كانت تريد أن تحنو على شيء بات مجرد ذكرى خلفها غيابه المرير، وأي غياب!

ليته ذهب لبيت أهله الى المساء ويعود.

أو هناك عند بعض الرفاق الذين طالما شكت منهم وحتما سيعود.

ربما هو عند أخته الأرملة الوحيدة، يزور ويطمأن ويربت على كتف مصطفى وليدها الأكبر ابن الحادية عشرة ويقبل جبين تمارا ابنتها الصغرى بألم وشفقة.

توقفت قليلا أمام مجموعة أخرى من الكتب ودفاتر الملاحظات التي كان ينثر بها ما يحب داعيا إياها دوما لقراءة ما يكتب.

ظلت هناك شاخصة الى لا شيء.

لقد كانت أنفاسه تملأ المكان.

أمسكت بكلتا يديها جانبي رأسها كأنها تسكته أن لا يثور، فهي لم تعد تقوى على تحمله ولا تطيق لا مراجعة طبيب ولا تفاهة الأقراص المخدرة التي يصفها لها من باب عسى ولعل.

أخفضت رأسها وأطرقت النظر وراحت تسير في البيت الخالي من الحياة كأنها تزور متحف غريب عنها وليس بيتها الذي كانت

تتقاسم معه العيش فيه.
لقد انتقلت لجوار أهلها وعملها.
عبثا تحاول عدم أحياء ذكراه.
مرت بكل الغرف، المطبخ، الصالة وغرفة النوم.
تعبت وراحت تجلس متهالكة على السلم وهي تستمع بسكون لذلك السكون الذي خلفه غيابه.
أحقا؟
أحقا جمد الساعدان اللذان يلفانها الى مرتع الهوى والوداد؟
الحق أنها تشتهي الضحك والقهقهة بصوت عال، إلا أنها عاجزة.
جاء صوت عماد من الماضي الذي بات مؤلما ومخيفا وهو يسأل ويطمأن أو ربما جاء من اللازمان واللامكان المجهولين بالنسبة لها:

- نعم حبيبي، ماذا بك؟

لم تتألمين؟
رفعت رأسها بعد أن أزاحت خصلة شعر أبت إلا أن تنسدل على وجهها وراحت تنظر الى أمام بدموع حرى دون أن تحرك ساكنا :

- عماد، أأنت هنا أم هناك؟

واختفت صورته وبقيت لوحدها.
عم الهدوء في أرجاء المكان بعد محادثة قصيرة معه.
ضحكت أخيرا رغم الألم بصوت مرتفع حتى تعبت.
دفنت رأسها بين ذراعيها اللتين اتكئتا على ركبتيها وراحت تبكي وتجهش كما يحلو لها وكما يحلو للزمان أن يفعل.

لم يعد هناك بيت يجمعهما.
لم يعد هناك فراش واحد، ولا حياة واحدة.
ولا شيء يوحدهما.
له عالمه ولها عالمها.
ترى لم خلقنا ولم نعود بطريقة مؤلمة الى حيث كنا ترابا؟
إلا توجد طريقة أخرى لا تبعث الألم للرحيل الى العالم الآخر؟
أتراه يجيب على هذه الأسئلة لو كان حيا؟
إنها لم تعد تعرف.
لم تعد تشعر بما حولها.
إنها الآن ترحل الى العالم الآخر الذي سيجمعهما الى الأبد.
حيث لا موت هناك ولا ألم.
ولا بكاء ولا ندم.
أنا برفقتك أخيرا.

غياب

نافذتها وحيرتها!
نظرة الأسى والحزن التي تغزو عينيها!
غياب البسمة من حياتها
الكل أعلن الحداد!
غيابك يؤلم أكثر مما قد يخطر لك على بال.
ما ذنب النوافذ كي أتحسر قربها على رؤياك ؟
طال عهد الوحشة...
لاشيء يفني بعدكَ ويقربك .
رغم كل الحب والشوق ...أضعتك .
أتدري ما هو الفقد؟
أذقت طعمهُ وعلقمه ؟
رأيت الحب في عينيك يخبو و ينطفئ.
فأعلنت هجرك علناً لا سراً.
أنا من أشهر الفراق وأعلنه على الملأ.
باتصال هاتفي صغير وطارئ بعد رسالة نصية خائفة
تهرب كلص من يد العدالة.
- لا بد أن ينتهي ما بيننا وكل ما بنيناه.

يا للمرارة!
رضيت أنت! بلا نقاش...كأنك كنت تنتظر أسوء قراراتي.
لا عتب بعد الآن، لقد شاخ الحب في مآقينا.
لم يعد لك عطرا أشمه ولا روحا تزور فراشي ليلاً ولا أنيساً في ألم سهادي الطويل.
الغياب! لم أتوقع أن أعيشه ويسكنني.
صرنا أنا والغياب رفيقين، غدونا اثنين ...
أيها البعيد.

الغرفة المغلقة

« أحببتك كثيراً رغم كل شيء!
رغم المرارة والألم .. رغم الحقيقة ذات طعم العلقم»
كان يقرأ كل عبارة بألم وترقب للمزيد.
هناك حيث غرفة المكتبة الخاصة بوالده الراحل، حين طلبت منه والدته نقل الكثير من الكتب والأوراق التي تراها بلا طائل وحرقها لاستغلال تلك الغرفة مرة ثانية لأغراض أخرى.
تذمرت كثيراً كون زوجها كان يجلس الساعات يكتب فيها ثم يخرج مع حرصه الشديد على أن يغلق بابها بهدوء، كأنه يغلق الباب على نائم مريض.
لم يكن مخلد يعلم أن هناك الكثير من ذكريات والده النائمة هناك لا يعلم فحواها سواه.
« اعلم علم اليقين أن حبي لك بلا حدود، كعلمي بأنك لست من صلبي»
جعلته هذه العبارة ومئات المذكرات بعدها يتقوقع على نفسه منكمشاً متألماً متسائلاً : من أنا!
« لم أكن أعني إيلامك وأنا بعيد عنك، لكن بذات الوقت، لا أريدك أن تحيى مخدوعاً كما كنت أنا، وحتى حين علمت، لم افعل

شيئاً حفاظاً عليك،فبقينا أسرةً صغيرة محبة، متغاضياً عن الكثير من المرارة التي أذاقتنا آياها والدتك، هي من يعلم من يكون والدك..
كان يهمش أغلب أوراقه ومذكراته بكلمتين «سامحني ولدي».
خرج من الغرفة يترنح من هول ما رأى وسمع وقرأ وتألم، أكتشف وبكى سألته والدته وهي ترتشف فنجان قهوتها المعتاد وبهدوء قاتل يأخذ استراحة بعد جرمه:

- كيف كانت تلك الكنوز!

قالت بسخرية: لا أعرف لم كان والدك كلما دخل تلك الغرفة، يخرج واجماً مثلك ويغلقها بهدوء كأنه يخاف على نائم أن يستيقظ.
ابتسمت ساخرةً وراحت تكمل فنجانها.

- لا تقل انك ستغلق الباب مثله، نظف تلك الغرفة، نحن بحاجة لها.

أغلق مخلد الباب بهدوء وحرص وكأنه لا يريد لنائم فيها أن يستيقظ.
ذهب للخارج يتقيأ ما احتواه فكره وجسده.

بلا رجل

أطفأت سيارتها حين وصلت المنزل.
منزل جميل بحديقة خضراء زاهية وكل ما تقدر على جلبه من أنواع الزهور و ألوانها. حملت حقيبتها ونظارتها بعد أن خلعتها حين وصلت و حقيبة أخرى تحمل فيها مبلغا جيدا من المال لم تكن تحلم يوما بامتلاكه حين كان هو يؤمن بمبدأ أصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب.
حتى لم يبقَ من مال يؤمن بهما مستقبلهما وهما لا زالا بلا أولاد .
لكن حدثت الخلافات بينهما وتفاقمت، فطغت على علاقتهما الزوجية فأنهتها.
لم يكن هناك وجود لوالديها وشقيقها، ففي العادة يكونان قد ناما، هما يحبان قيلولة الظهيرة .
شقيقها له ما يشغله.
ارتقت السلم وهي ساهمة.
لم تعد للحضور باكراً لمشاركة عائلتها وجبة الغداء كما كان الجميع يحضرها معها قبل أن تتزوج أختاها .
كلما سارت الأيام زادت مشاغلها، فهي في تطور مستمر لعملها ورغبتها لمحاولة التعويض عن الكثير مما هدر من دخلها الشهري

وما كانت تكسبه من مبالغ ليست بكبيرة جراء طبعها ونشرها لبعض كتيباتها.

جلست على إحدى الآرائك هناك في غرفتها العلوية بعد أن أقفلت باب غرفتها، تأملت الحقيبة الكبيرة التي تحمل فيها المال وهي أمامها على المنضدة والى جانبها جهاز المحمول والحقيبة الأخرى جانبا على الأرض.

رفعت الحقيبة لدقائق وهي تسترخي بعد أن خلعت حذائها بشكل مهمل ومرهق.

الآن صارت تملك المال بشكل منظم وحسب ميزانية متفق عليها لا يجادلها في ذلك والديها ولا يتعبها شقيقها، بل هو سعيد بها إذ إنها طالما قامت بتمويل مشاريعه الصغيرة بحنان أخت كبرى وبمشورة ومتابعة مما جعله يحمل لها في قلبه الود والاحترام وأن يحسب لها حساب بأكثر خطواته ومشاريعه.

فتحت الحقيبة، استرخت بظهرها الى الوراء وهي تتأمل المال الذي أمامها والذي تحب أن تراه منظما وذا أوراق نقدية جديدة.

باتت ثمة ابتسامة على محياها، شاكرة من جوارحها الله الذي يسدد خطاها بشكل منظم، تحسب لكل خطوة حسابها لذلك جنت ثمرة جهدها وكدها متوجا بما وصلت اليه في مجال العمل وفي البيت حيث فعلت ما كانت تحلم بان تفعله برا بوالديها وحبا لعائلتها الصغيرة.

أغلقت الحقيبة حاملة إياها والحقيبة الأخرى حيث دولاب ملابسها.

تركتها هناك وأغلقت الباب بعد أن أخذت بعض الملابس ومنشفة متوجهة الى الحمام.
لكن!
قبل أن تذهب توقفت وهي تنظر جهة المحمول.
أتراه يذكرها بعد كل هذه السنين؟
إلا زال يحتفظ لها برقم كما تحتفظ هي؟
كانت تخصص له نغمة رسائل ونغمة أخرى للاتصال ولا زال كل شيء على حاله.
طالما خطرت لها فكرة أن تكتب له رسالة نصية رغم يقينها أن ما بعد الرسائل النصية ندم وعتاب.
تقدمت بضع خطوات، التقطت الجهاز وراحت تكتب:
مرحبا!
ترددت في الإرسال ثم ضغطته.
سافرت الكلمة اليتيمة الى حيث يكون.
سارت جهة الحمام بعد أن تركت جهازها على تلك المنضدة الزجاجية.
كان الماء يجري غزيرا على جسدها مودعا كل علامات التعب والإرهاق اليومي، انسابت فقاعات الصابون ورغوته منحدرة من أعلاها حتى غابت هناك عند أصابع قدميها لترحل في رحلة بعيدة نحو المجهول.
رأته أمامها رغم قطرات الماء المتدفقة فوق شعرها وجسدها.
انهارت وراحت تبكي بدموع ساخنة اختلطت مع حبات الماء

الغزيرة وتاه صوت نشيجها مع صوت الماء الذي يجري جذلا لا يبالي أن اختلط بدمعها وتسابق معه نحو الأسفل.

وبعد!

وماذا بعد؟

ماذا بعد المنزل والعمل والمال؟

لا يوجد رجل في فضاء حياتها!

مسار حياتها خطواته محسوبة ومنظمة.

فطور تتناول منه بضع لقيمات لأجل والديها ثم مغادرة سريعة ومواظبة في العمل .

عودة متأخرة بعد وجبة طعام بسيطة وسريعة في العمل.

حققت ما تريد.

وهواية كتاباتها الأدبية تسير بشكل جيد.

وثم!

خطر على بالها أن يعودا زوجين من جديد.

لا بد من طرق أخرى للتفاهم وحل المشاكل.

لا بد أنهما قد نضجا أكثر، سيحتمل كل منهما الثاني ويغفر الآخر زلة صاحبه.

لقد انشغلت ببناء ذاتها وترميمه ونسيت أن لأنوثتها عليها حق.

لم تكن تشعر بوجود الرجال حولها لا في العمل ولا في العلاقات الاجتماعية.

هو الوحيد من كان يخطر لها على بال.

أغلقت صنبور الماء، التقطت المنشفة.

سمعت صدى صوت رسالة من جهازها المحمول هي ذات النغمة التي خصصتها له وحده، كانت تريد أن تميزها دون الأخريات عسى أن يبتدرها يوما هو برسالة فتعود لسماعها كما كانا في غابر السنين.

خافت أن تقترب وتقرأ.

فرح وتوتر وترقب.

ترى هل أجاب بذات التحية؟

رأت جهازها يضيء من بعيد عاكسا إضاءته على المنضدة.

أسرعت لالتقاطه متوترة لما قد يكون حاملا لها من البعيد.

كانت هناك رسالة صوتية.

خشيت فتحها وسماعها.

أيرد عليها مباشرة برسالة صوتية؟

كأنه كان بانتظارها.

ضغطت عليها لتسمع صوتا نسائيا آتيا من بعيد:

- إلا ترى أن كلمة مرحبا لا تكفي لتعريفك؟

جرحها الصوت بعمق لم تتوقعه أو تحسب له أي حساب.

لم يخطر لها ببال.

ضغطت بالجهاز على صدرها المبتل وراحت قطرات الماء تجري من شعرها في أخاديد وأودية متعرجة ومستقيمة أخرى حتى وصلت اليه وجعلت أجزاء منه تبتل كأنه الآخر يبكي!

تهاوت على الأرض وتهاوى معها الجهاز أيضا مضيئا برسالة نصية أخرى مع تلك النغمة الخاصة بذاك الرجل.

هل خلت الأرض من سواه؟
لم اعتبرته حكرا لها؟
لم تخيلت أنهما قد يعودان يوما؟
كانت تبكي وجسدها الأخر يبكي لكن بحبات أخرى غير مالحة
كتلك التي انسابت منذ دخولها الحمام حتى خرجت.
لكل دمعه.
للعين والجسد.

اغتصاب ذاكرة

تحركت أصابعه بهدوء ورفق وهي تمسح اللاشيء على صورة تجمعه وإياها معاً، يظهران وهما في ثوب الزفاف ويظهر الفرح عليهما بادياً طبعاً.

لكن...!

أغمض عينيه وهو يحاول استجماع أفكاره متكئاً بكف يده اليسار على منضدة في غرفته وممسكاً بجبهته، مغمضاً عينيه كأنه يحاول العودة الى اللاوعي ليتذكر ألم يزالا زوجين؟

ولم لا؟ وما المانع؟

كان هناك مانع!

لكن...ثمة خطأ...لا تسعه الذاكرة.

شيئا ما يحصل هناك .. حلقة مغيبة لا يدري ما هي ولا أين؟

زحفت يديها فوق كتفيه من الخلف وهي تتملقه بغنج وتحبب ثم ترخي رأسها على رأسه مبعدة بإحدى يديها ألبوم الصور الذي كان بين يديه.

لا يشعر بأنه يرغب أن يبادلها قبلاتها المتتالية التي صارت تتمادى أكثر وتستميله أكثر فأكثر.

نهض من الكرسي ثم أعاد ترتيبه بالقرب من المنضدة، هي لم تنتظر

أكثر سحبت يده وهي تتأمله بتودد رغم شروده المستمر عنها وعن عالمها.

خلعت القطعة الخارجية الشفافة من ملابسها الخارجية التي تشف عن الكثير من مزايا ومفاتن جسدها مبقية على قميص نوم شبه عار أسود اللون يبرز جمال نهديها الفتيين ورشاقة ذراعها وجمال قوامها الممشوق وهناك راحت خصلات شعرها الكثيف تحوط كتفيها بتألق وانسجام مضفية على جمالها نوع آخر من الجاذبية التي تبرز في غرفة يشتركان في صولاتها وحدهما.

اقتربت منه وهو جالس فوق السرير لكنه لن يبادر كما يبادر أغلب الرجال حين تقدم لهم زوجاتهم الكثير من التسهيلات والمزيد من الترغيب أن يكونا أبطال فراش حتى النهاية.

دفعته بكلتا يديها حتى استلقى على الفراش، زحفت فوقه وهي تسند جسدها بكلتا ذراعيها المتصلبين القائمين اللذين يحوطانها من اتجاهين.

مررت أحدى يديها لتكمل فتح باقي الأزرار وهي مصممة.

لا! صرخ صوت هائل مرعب من جوف عميق في قرارة روحه المعذبة التي ما عادت تميز بين الأمس والغد.

لقد رأى ثمة رجل حين اقتربت منه.

إنه يقف حائلا...هناك شيء لا يفهمه.

- ماذا بك؟

قالتها ضجرة مستاءة شاعرة بمزيد من الخيبة والخذلان والإهانة العميقة، فلقد صارت الليالي والنهارات أغلبها على هذا الشكل

بينهما منذ ذلك الحادث!
ابتعدت عنه نافرةً الى فراشها ملتقطة علبة سكائر على عجل وتوتر لتأخذ منها واحدة بيد مرتجفة من الغيظ والأسى وهي تحاول إشعالها بعود كبريت بقيت ممسكة به بين أصابعها وهي تتأمل كيف تتأكله النيران حتى لسعتها نيرانه فألقت به على الأرض.
لم يظهر ذلك الرجل كلما اقتربا من بعض؟
من هو، ومن يكون؟ وأين هو؟
لا يذكر إنه رآه يوماً.
أهو صديق، أم من المعارف؟
لو كان كذلك، أين هو؟
نهض ببطء من الفراش وهو يسير نحو دولاب الملابس آخذاً بيده منشفة وبعض الملابس، طالما هرب من مواجهة زوجته بالذهاب الى الحمام حيث يبقي رأسه تحت زخات الماء القوية المتسابقة كأنها تساعده على أن يلتقط شيئاً ما لا يعلمه، لكن لابد إنه ينفع ولو قليلاً في فهم ما لم يفهمه من أحداث.
غادر الغرفة واستمرت هي تدخن بعصبيةٍ ظاهرة نافثة دخان سيكارتها كثيفاً حراً في فضاء أفكارها.
يبدو عليها القلق والتوتر والخوف الذي صار يملأ حياتها.
تراه يتذكر؟
شعرت بالاختناق وكأن تلك الذكرى تحيط بعنقها وتمنع عليها العيش بسلام رغم مضي فترة على الحادث.
نهضت في فراشها وهي تتكأ على ركبتيها العاريتين المقوستين مطرقة

نظرها نحو الأسفل ورماد سيكارتها يزداد امتداداً وطولاً في انتظار أن تلقيه جانباً أو أن تمتص ما بقي من تبغ لم يحترق بعد.
ألقت بعقب السيكارة المتبقي على الأرض وراحت تصرخ غيظاً كانت تكتمه كلما تذكرت ذلك اليوم الذي لا يستطيع هو تذكره.
ذلك اليوم الذي انحرفت معه حياتها بانعطافةٍ قصوى لا مرد بعدها الى سابق عهدها.
ذاك الشيء الذي لا تريد له أن يعود، وهو من يريد استعادته، يريد أن يتذكر لكن الذاكرة لا تسعفه.
طالما تمنت لو إنها هي من فقد الذاكرة وليس هو لترتاح من عبء ما يحمله لها الضمير من تأنيب مستمر كصدى صوتٍ مميتٍ لا ينفك يطرق أبوابه بكل وحشيةٍ كي لا تنسى جرماً اقترفته ذات يوم محاولة إسدال الستار عليه إلا إنه يأبى الرحيل ولو كان هذا الستارً من فولاذٍ وليس مما يبتاعه لها من أرقى الخامات.
_تباً!
ضربت يدها على الجدار وهي تتأوه: آه ... كفى !
استرخى هو تحت وقع وصوت الماء المتناغم وهو يستحم، كأنه يفر من نفسه الى نفسه.
اتفق مع طبيبه على موعد آخر حين يشعر بأنه يريد أن يتكلم.
غادر الحمام مقرراً ارتداء ملابسه للخروج إذ آن للشمس أن تشرق بعد هذا الليل القاتم.
لم تعترض طريقه حيث كان يرتدي ملابسه بهدوء ورتابة وشرود دون أن يتحدث إليها.

كانت قد استبدلت ملابسها بآخر أكثر احتشاماً من قبل.
اضطجعت في فراشها محاولة استعادة النوم الذي يأبى أن يعود، سحبت الغطاء عليها الى منتصف جسدها وراحت ترقبه وهو يتحرك هنا وهنا في الغرفة بين الدولاب والمرآة.
ارتدى ساعته اليدوية ثم ضغط على زجاجة العطر أمامه لتكتمل إطلالته بتعاليمها الأخيرة.
هناك شخصٌ ما في الغرفة معها.
يكاد يشعر بأنفاسه.
من يكون؟
تزدحم الأسئلة في رأسه كثيرا، أغلبها لا إجابة لها.
إنه وجه رجل واحد يتكرر أمام ناظريه مرة ومرة أخرى يتسرب كما يتسرب الماء في أرض قاحلة جدباء لم ترتوي منذ دهر.
هل هو مجنون؟
كلا ... هو متأكد إنه ليس كذلك.
غادر الغرفة وهو يسأل مرة ومرة يجيب نفسه.
أغمضت هي عينيها بعد ليلة مرهقة من مطاردته ومحاولة استمالته دون جدوى.
سار في طريقه وهو يقود سيارته وكأنه ليس من أهل الأرض، إنه يشعر أن هناك أحداث تتكرر كأنه عاشها مسبقاً، لا يعرف لم تتكرر هذه الأحاسيس فتصنع في رأسه ثورة طاغية تريد التحرر ومعرفة المزيد عن المجهول الذي يعيشه والذي لم يعد يميز فيه الحقيقة من الزيف، السراب من الأمل، حتى إنه لم يعد يعرف من هو؟

كيف كانت حياته مسبقاً؟
ما الذي غيرها؟
لم يعد يرغب أن يذهب الى طبيب نفسي للعلاج من فقدان الذاكرة.
ترى كيف فقدها؟
هل يجدي العلاج نفعاً؟
سار بسيارته طويلاً بلا هدف كأنه يرحل من ذاته للبحث عن ذاتٍ مفقودةٍ.

حديث السماء

طالما وجد والدته تنظر الى السماء ليلا وهو يغفو برأسه على فخذها حين كانت تجلس وإياه في أرجوحة الدار حيث اعتادت ليلا.

كانت يتساءل، لم تحاكي أمي السماء طويلا، أترقب القمر أم تتبع مسار النجوم؟

انه يدرك في قرارة نفسه أن هناك دموعا تتلألأ في مآقيها وان هناك حديثا تتجرعه علقما داخلها ولا تبوح به إلا انه استيقظ من نومه مرات ووجدها تتكلم بصوت مسموع وهي تؤنب احدهم لنبذه لها ولولدها.

سخر منه أولاد الحي وعلموه أن له أباً هجر والدته وراح يتسكع وراء الأخريات.

شعر باليتم مبكرا وبأن تربية المرأة له لا تكفي وبأن والده لم يتركها لولا أن فيها عيبا سمع بعض الهمس عنه من أمهات رفاقه وهن ينظرن اليه بنظرات شفقة ذات معنى.

حين كبر وتزوج وأنجب، لم يعد يطق همز الناس وغمزهم حول أمه وأبوه.

همس له الشيطان بسر جديد، أن يلقي بها في دار للعجزة أو يلقي بها على قارعة الطريق.

لم يبال، لم يصغ لذات الحديث، حديث عجائز الحي، انه كأبيه هجرها نكرانا للمعروف أو أنها ربما قد أخطأت بحق زوجها فهجرها.

جلس هو بعد بضع سنين في ذات الأرجوحة القديمة ليلا وهو يكمل حديث السماء.

ينظر الى البعيد، ابنته تنام على فخذه، لا تعلم بم يفكر ومن يحاكي.

زوجته تتأخر كل ليلة وهو مقعد اثر حادث.

ثرثرت تلكم النسوة، ذهب لإعادة والدته من دار العجزة ليسكت الأفواه بعد سنين.

لم تكن من الأحياء.

لم يجدها.

أثناء عودته دهسته سيارة أقعدته.

صار بلا عمل، هجرته زوجته الى حيث رغباتها، توبخه كل ليلة.

إن لم يشرفك عملي عد لأحضان والدتك.

بلا وطن

ثمانية عشر عاما!
صار هذا الرقم يحمل الكم الهائل من الذكريات والأشجان، الألم والضياع فقدان الأمل والهوية.
ثمانية عشر عاما!
أعداد وأرقام تعد الثواني والدقائق، الساعات والأيام، كم من صيف انتحر وكم من شتاء احتضر، أكان هناك ربيع تشهد له الأرض أم خريف تاهت أوراقه وتأوهت تحت أقدام المارة؟
ضاع الكثير منه وهو سجين قضبان زاخرة ملآى بملايين البصمات من ايادي بريء ومذنب من فتيان وكبار سن،أيقدر على لملمة ما ضاع منه؟
انحدرت دمعة ساخنة حرى من زوايا عينيه حتى صيوان أذنيه، كان جسده وبشرته يتألمان من سخونتها وملوحتها التي تحفر في طريقها ما يسبقها هدّامة مكتسحة.
كان يسير شبه ثمل وغائب عن الوعي وهو القادم من الأسر باحثا عن دار صباه وعن أذرع تاق أن تحتضنه وتنسيه مرارة ما كان.
إلا إنه لم يجد أحدا.
توفي والداه، أخته الوحيدة تزوجت، لم تبال حين عودته، بل إنه

لاحظ وتأكد إن ملامحها كانت لا تعبر عن أي فرح بقدومه بعد هذه السنين.

ورثت بيتهم وتصرفت بماله بعد البيع، لم يكن هناك من يقاسمها المال حتى هو حين لم يجد حظا وافرا من الحنان والترحاب، فضل الانسحاب رغم عدم مكوثه لديها مدة شهر وهي مدة وصوله أيضا الى الوطن.

الوطن الذي لم يجد فيه مأوى ولا ملاذ.

كم تاقت نفسه لذراعي والدته تحتويانه بحنان ويبكيان ما طال لهما الزمان وأن يحتضنهما والده ويشد عليهما العناق.

أهذا جزاء كل ذاك الحرمان من الأهل والرفاق؟

ما عادت الدار هناك كما كان يحلم ولا رائحة الناس الذين تركهم.

نهض من فراشه جالسا عليه متفحصا المكان حوله.

لم يجد عملا ولا يتاح له أن يسكن بيتا.

إنه يعمل في مخبز ويسكنه أيضا.

هناك حيث أكياس الطحين ولوازم الخبز.

وبضعة نقود يضعها تحت وسادته.

لا خزانة ..لا بيت .. لا رفقة .. لا شيء.

أهذا ما تاق للرجوع من أجله للوطن؟

رأى نور الصباح بدأ يتسلل رويدا الى المكان معلنا بداية يوم جديد مضاف الى سلسلة أيامه التي صار يسودها الهدوء، إذ إنه لم يعد يتكلم إلا حين يحادثه أحدهم، لا يرغب في الحديث، يعمل بصمت وشرود.

شعر بدوار يعيده الى وسادته، لا رغبة في النهوض ولا العمل.
تسمرت عيناه في سماء الغرفة، لم يعد يشعر بما حوله، كإن الحياة لم تعد تخصه وليس هو من أبنائها.
إنه يرى والدته تمد ذراعيها له وهي فرحة جذلى بعودته أخيرا وهناك والده يحاول اللحاق بها ليذرف الدمع على كتف ولده .
كان هو فرحا وفي غاية الراحة والسرور، هناك لم يعد يشعر بالوحدة ولا بالظلم، هناك مشى بسرعة لتحتويه أخيرا أحضان والديه.
الآن يستطيع أن يفرح، أن يبكي تلك السنين .. وأن يغفو في أحضانهما الى الأبد.

أول لقاء

أوقف سيارته جانبا، تنفس الصعداء بعمق كأنه لم يتنفس بهذا العمق من قبل، شعر بسعادة غامرة طافحة تملأ كيانه وكل خلاياه.

- يا لروعة الإحساس بالحب!

الحب.

لم يكن يوما يعيش هذه المفردة الطاغية المهيبة، حتى وقع يوما في أعماقها وقعا مدويا لا خروج منه ولا مفر...هو قطعا لا يريد الخروج من هذا القاع مهما تألم ومهما كابد.

نظر الى حزمة الورد التي وضعها جانبه على المقعد المجاور له، أخذها وخرج واضعا إياها على السيارة معلنا على نفسه وعلى تلك الباقة وكل ما يملك، الانتظار.

انتظارها.

- متى تأتي؟

آه من الشوق وما يفعله.

استند على السيارة وبدأ رحلة الانتظار اللذيذة والمدمية للقلب بلا رحمة.

- متى تأتين؟ أرجوك الرحمة ما استطعت.

لم تكن تشغله أنثى ذات يوم...حتى شغلت تفكيره وحياته هي.

اتفقا على اللقاء.
انه أول لقاء.
انه يتحسس طعمه في فمه وجوفه...قلبه يخفق، ينبض بفرح وجنون.
– ترى ما الذي سأقوله لها حين تأتي؟
آه ... فقط لتأتي.
أرجوك...لا تخلفي موعدنا.
ارحمي عزيز قوم ذل وعشق واستكان اليه واسلم.
تعالي ... أشم زفيرك...يكفيني انه منك.
جاري انتظارك واحتراقي.
فتعالي ولا تتعالي.

إياك أعني

- أحبك.

قالتها بشوق ولهفة.

- لم اسمع ؟ واضعا يده أسفل أذنه كي تعيد العبارة.

- أحبك فأحبك ثم أحبك.

مل من تكرار نفس اللفظ وسأم إدمانها عليه.

كل يوم أحبك.

كلما نلتقي، أحبك.

شيء ليس بجديد.

هجرها بحثا عن مزيد.

عسى أن يجد طعما آخر أقل مللا.

يريد الجري خلف أنثى تتعبه .. تسحقه بلا هوادة.

امرأة ثائرة تجتذبه متى ما أرادت وتذيقه الألم وطول السهر متى ما رغبت، لا هذه التي تلقمه أحبك عبر كل لقاء، كل مكالمة، أففف.

أدمته حتى البكاء ورحلت.

أين الأحبك؟

أين من رفضت ركوعي لها وتوسلاتي؟

لم يعد هناك من أحد.

بركة

- ما أجمل وقت الأصيل!

قالت له وهي تشير بعينيها أن هناك نحو الأفق الذي اختلطت به مجموعة ألوان باهتة جميلة، وهناك راحت سنابل القمح تتمايل مع هبوب الريح ممتلئة خضراء طويلة، وتلك المنازل التي كانت تشكل نصف حزام دائري حول مساحة خضراء ينتشر فيها شذى العشب الندي.

- نعم وما أحلى أن تكوني أنت معي.

تجاهلت نظراته لها وهو يخاطبها دون أن تنظر اليه، كانت تركز في الأفق البعيد، هي تعلم انه يودها ويمعن فيها دون كلل بعينيه الجاحظتين الواسعتين اللتين اختلط فيهما قليل من الحمرة مما زادهما قوة وتركيزا، ربما من وجهة نظرها هي على الأقل.

استنشقت الهواء بعمق ورغبة وهي تدرك إنها تعيش معه لحظات جميلة إن تسير معه في هذه الأجواء اللطيفة، وهو كدليل سياحي يشرح لها طبيعة المكان والناس.

بدأ الظلام ينتشر رويدا رويدا، لا زال أمامهما وقت، كانا يسيران ويتكلمان عن الكثير مما يشتركان في الحديث عنه، كتابة الشعر والنثر وما آلت اليه القصة ووو.

انشغل بها حتى انزلقت قدمه فجأة على حافة بركة ملآى بالطين وقليل من الماء، لم تكن قد انتبهت اليه قبلا، بسبب الظلام الذي ساد المكان.

- آه...تبا!

نظرت اليه وهي تتفاجأ بصراخه، لم يكن هناك بد من أن تضحك ولا سبيل لغيره، وما العمل ساعتها؟

قهقهت بصوت عال حتى أدمعت عيناها وهو يحاول إخراج قدمه اليمنى حتى تغوص اليسرى، يمسح تارة يديه بالعشب الذي ساعد على تزحلقه أكثر وتارة أخرى ينظر الى ملابسه وساعة يده التي غمرت تماما، ثم اليها وراح هو الآخر يضحك.

- يا مجنونة سقطت في الوحل بسببك.

ضحكت مرة أخرى وراحت تدور حول نفسها محاولة السيطرة على موجة الضحك التي لا تبارحها، تذهب وتعود وتدور حوله من احد جوانب البركة.

- لن تساعديني؟

تبا لك.

اقتربت منه وهي لا تزال تنتفض من ضحكتها المكتومة حينا والتي تطلقها أحيانا أخرى أكثر، وقد سخنت وجنتاها تكسوها حمرة ملتهبة.

مدت يدها محاولة المساعدة لكن بعزم أنثوي واهن:

- لا اقدر...كم أنت ثقيل ومزعج! إلا تتعاون وتخرج الي؟
- كيف تساعديني وأنت غارقة في الضحك؟

شدت يدها أكثر...فشدها هو أقوى وأكثر إصرارا مما حاولت، حتى تهاوت وسقطت معه في الطين.

- آه...أيها المجنون...مجنون.

صارت تبكي بشكل تمثيلي مصطنع:

- كيف سأخرج؟

يا الهي...وملابسي...و...آه...سحقا.

قهقه هو بكل ما أوتي من رغبة وراح يساعدها في الجلوس على طرف من البركة فوق بعض العشب الندي.

- هل ستبقى؟

راح ينظف من الطين الذي عليه ويرد عليها وهو ينظر الى الطين الذي اتسخت به هي:

- وهل أجمل من السقوط في هذا الوحل؟ على الأقل توحدنا في مكان واحد.

نظرت اليه رغم أنها كانت تتحاشى عينيه الثاقبتين، أنها ترتجف من عباراته الرنانة:

- إنه طين! ما العمل؟

اقترب منها وصار يجلس ملاصقا لها، شعرت بالتوتر كأن الطين والبلل الذي عليهما قد ساعد في قربه منها والتصاق ملابسهما ببعض حتى كادت الأجساد تسخن.

أطرقت، شعرت بجفاف وبأن قلبها ينبض أكثر مما كان قد قدر له، محاولة عدم التركيز على ما توحي به عباراته ونظراته المركزة عليها طول الوقت.

- أتحبين الطين؟

نظرت اليه لترى ما يعني!

وجدته يحدق اليها ويقترب أكثر...راح يمسح بسبابته الملطخة بالطين الى شفتيها ماسحا عليهما كأنه أحمر شفاه، ارتبكت، خافت وتوترت، زاد هو...هي تدرك انه لن ينتهي أبدا.

نهضت محاولة الخروج، نظرت اليه من علو وجدته يتوسلها بعينيه أن لا تبتعدي، شدها من ذراعها معتصرا إياها بقوة حتى انحنت عليه أكثر من السابق، أبعد هو باليد الأخرى خصلة متسخة من شعرها جانبا.

- هذا يكفي.

هاربة قالتها.. وسحبت ذراعها من يده بعد أن أفلتت قبضة أصابعه منها.

هي تتقن الهرب كما يتقن هو دوما التقدم بلا هوادة ولا تراجع.

سارقة

كتيب جميل مزركش مليء بالألوان الزاهية التي تجتذب أنظار أية طفلة بعمرها، هذا الكتيب الذي يحتوي قصصا للأطفال تجعلها أن ترحل الى عوالم أخرى جميلة غير العالم الذي تسكنه وغير الواقع الذي تعيشه.

هناك مازال الأمير ينتظر الأميرة تطل من شرفة بيتها الفاره الواسع .

وتلك البقرة الحلوب ما أشهى حليبها وما أنشط رحم مربيها، عجلها الصغير. و الأخ التوأم ساهر وشاهر كم لديهما من لعب ودمى!

ما الذي تمتلكه هي ؟

أعجبها الكتيب جدا، طلبته من فاطمة جارتها ورفيقة صباها.

رضيت فاطمة أن تمنحها إياه بإلحاح منها حيث لا تملك الكثير مما يثير اهتمام الطفل و يجذبه .

في المدرسة، أخرجته لتتباهى بصوره وألوانه و لتقص إحدى حكاياته على قريناتها من البنات وبعض الأولاد .

فرحة، منشرحة الصدر، كأنها امتلكت العالم حين فتحته ووضعته أمامها على الرحلة في صفها وراحت تقص عليهم بمزيد من الفخر

وطعم لا يوصف من السعادة الحقيقة .
ظهر محسن، شقيق فاطمة، شاهد الكتاب بين يديها، عرفه، انه يعود لفاطمة .
سحبه من يدها بقسوة واحتقار :
_هذا ليس لك، انه لأختي فاطمة .
خجلت من حالها، إذ انه وبخها على مسامع الكثيرين وكانت للتو تريد طرح حكاية متباهية فرحة.
قالت بخجل وألم :
هي صديقتي وقد منحتني إياه .
بينما هو وضع الكتاب في حقيبته وقال :
- سارقة !
عادت الى البيت وهي تبكي الدمع مدرارا وكلمة سارقة تلاحقها و توجعها حتى ملأ طنينها رأسها الصغير .

سحابة صيف

افترش الأرض والتحف السماء على أرض معشوشبة واسعة خضراء .

عقد ذراعيه تحت رأسه و راح بصره يجول في فضاء بعيد عميق يتأمل بسكوت كل ما تبصره عينيه، سماء صافية زرقاء تلون البحر وبعض الغيوم البيضاء تتباهى محلقة في الفضاء مزهوة لم يسأل نفسه يوما لم يعقد حاجبيه ؟

لم هاجر من بلاده الى هنا ؟

أمن المحتم أن تكون أحزان الرجل عبارة عن امرأة أخذت الكثير من ماضيه ولا زالت نصب عينيه؟

مرت أمام عينيه قائمة النساء اللواتي حاول المضي معهن في طريق ما إلا إنه لم يفلح أو بالأحرى لم يستجب لرغباتهن المتباينة.

ربما لم يجد من تتناسب وصمته المستديم الذي لا يخرج منه مع إحداهن إلا حين يجري الحديث لسبب أو آخر.

سمع صوت خشخشة أساور تقترب منه.

لم يبال!

كانت يوما تثيره أصوات النساء وعطورهن، الآن يريد العيش بسلام وسكينة.

- صباح الخير.

وراحت تجلس بالقرب منه دون سابق موعد أو دعوة.

كان صوتا نسائيا مرحا باغته دون تردد.

لم يشعر برغبة للإجابة فرفع يده محييا ثم أعادها تحت رأسه دون أن يتكلف عناء النهوض أو النظر الى القادمة الجديدة.

- سأسمح لنفسي بكسر عزلتك وتجاذب أطراف الحديث معك.

بدت ابتسامة شبه عريضة على وجهها ساحرة تحييه لتكسر عزلته ثم تنوي مبادلته الحديث، يا لها من إرادة وتصميم!

- ولم كل هذا العناء؟

سألها وهو يراقب طيرا كان قد تأخر عن باقي السرب وهو يحاول الوصول الى البقية.

- لطالما كان للعناء معك طعم آخر.

كانت لهجتها جادة وشبه حزينة، لم تكن غامضة وملغزة لأنه أدرك أن من تحاكيه لا بد أن تعرفه.

أبعد ذراعيه عن رأسه وأستيقظ جالسا بالقرب منها، ينظر الى جانبه الأيسر حيث تجلس هي.

امرأة سمراء ذات شعر اسود فاحم، ترتدي ثوبا أبيض يحتوي ورودا صغيرة وردية وقبعة بلون الورد.

كانت تعبث بزهرة بين يديها تشمها مرة ومرة تمسح بها على وجنتها.

رغم تألقها وابتسامتها، كان هناك ألم تخفيه بكبرياء منقرض لم يعد

يجدي نفعا ولا ضرا.
لم يستطع إنكار دهشته حين رآها، نضجت وتغيرت . تأملها كلها وهي تركز ذات النظرة إلى عينيه وصدره العاري الذي طالما عانقته سمرة شمس الشرق هناك حيث ولد الحب واحتضر أيضا.
كانت هي و الحب توأمين لا يمكن فصلهما لا بعملية قيصرية ولا ولادة طبيعية .
كم من الرجال اللذين عاشرتهم بعد تجارة زواج وطلاق بحثا عن مزيد من المال!
لم تمنحها الطبيعة منهم طفلا يفجر أنوثتها أكثر و ربما يجعله أكثر هدوءا واستقرارا مع أحدهم .
نظر كل منهما إلى الآخر .
كان الصمت سيد الموقف وربما بضع حنين متبقي .
كم أحبها !
كانت جل ما يملك وما يريد.
أحبته لكن سطوة المال والتسوق ومباهاة الغير مع رغبة كثير من الرجال بها، كانت أقوى وأمر .
كادت تودي بحياته نحو الهاوية والجنون المطبق لولا عناية الله ورفاقه المخلصين وإحدى النساء المغرمات به من الأقرباء المقربين.
تزوجت وطلقت وتزوجت وكان الطلاق ولم يعد يريد أن يسمع عن أخبارها المزيد.
ضحك في سره وهو يشيح بوجهه جانبا عنها ويهمس لذاته

المجروحة منذ سنين .
للنساء القدرة على ذبح الرجال بلا سكين وإرداؤهم قتلى صعاليك مجانين .
حاول النهوض مسندا كفه اليمين على العشب لينهي لقاءا غير مرتقب وغير مرحب به بأي حال، إلا إنها كانت سباقة كعادتها، بذراعه محاولة إبقاءه معها وهي تنظر له بتصميم وبرغبة للحديث وبتوق لم يعد يعنيه.
عاد ليجلس ثانية محاولا عدم الانفعال والتسرع .
راح ينظر إلى الناس الذين يملئون المكان وهم يخرجون للنزهة يوميا للترويح من ضغوطات الحياة وملابساتها .
اقتربت منه أكثر وكل ما فيها يسلب الفؤاد والعقل لديه.
لطالما أرهقته بقربها منه، تغويه فيسقط من جنته ثم تهرب باسمة الثغر.
حتى رحلت بشكل آخر وهربت بالروح والجسد والزمان وكذلك المكان .
كانت أياما عصيبة، عانى فيه الأمرين حتى إنه يستغرب بقاءه حيا إلى اللحظة .
راحت تتكلم وهي تلتصق به كأن ما فعلته به يوما عفا عنه الزمن والحضارة التي ربما تمنحها بلاد الغرب لساكنيها من الشرق، اللذين أوحى الكثير منهم لنفسه بسن قوانين جديدة للحرية والانطلاق.
أمسكت يده وهي تثرثر كأن شيئا لم يكن عن الحياة هنا وعن مميزاتها وكيف وجدته قبل الآن وتتبعت أخباره حتى ترصدت له هذا اليوم

لتكون لهما جلسة وحديث.
رأى من بعيد أحد الرفاق الجدد الذين عرفهم هنا، رجل أعمال لبناني مرح.
حرر يده من سلطة يدها الوهمية ونهض ملوحا للآخر:
- جورج! هلم يا رجل.
قالها باسما كأنه يريد التخلص من التوتر حوله.
انتبه الآخر وجاء يهرول صوبه وهو يرتدي زي التنس وراح يثرثر باسم الثغر من بعيد:
- ألم أخبرك حبيبتي، لقد تمكنت من ربيكا.
أذن أنت الزوج الحالي!
همس أحمد لنفسه وكأن جراحه التي اندملت قبل سنين، عادت للحياة من جديد بعد اعتقاده إنها باتت رميم.
لا يريد أن يتألم مرة أخرى.
بقيت هي جالسة، فأخرجت نظارتها البنية من حقيبتها وراحت ترتديها مخفية بعض كبرياء أجوف وثمة ضيق، ربما لأن جورج حضر قبل أن تكمل بعض من عبثها اللامجدي.
مد أحمد يده للرجل الذي ابتدره ببشاشة مصافحا.
- مبارك الفوز بالنزال. قالها أحمد وهو يتماسك أكثر ليحافظ على ما تبقى منه.
- أنتما رفقة إذن ؟!
قال جورج وهو يجول ببصره بين الاثنين.
نظر أحمد إليها لتجيب هي عن تساؤل زوجها .

نهضت وهي تجيب:
-نعم ..حيث كنا.
ولم تكمل، شعرت بالضيق لحضور زوجها ولم ترغب أن تكمل عبارتها.
- الوداع أحمد، أراك.
طوق جورج خصر زوجته وراحا يسيران تاركيه لا يرفع عنهما بصره.
ضرب العشب بطرف قدمه اليمنى وراح يضحك ساخرا من الأيام وتقلباتها.
كان لا يجرؤ أحد على مسها، الكل يعرف إنها لورسين معشوقته كما أحب قلبه أن يدعوها، كانت تحب أن يسميها على طريقته وليس كما معروف لها في هويتها الشخصية تحت اسم آخر اختاره الأهل وليس هو.
تأمل ساقيها العاريتين، كان يحذرها أن تعريهما وتسير أمامه لأنه لن يقوى ساعتها على السيطرة على ما يفعله شوقه لها.
وجد نفسه يسير خلفهما!
لم؟
لا يدري.
أقدامه تأخذه حيث الماضي الهارب والحاضر الذي يبدو أحيانا غريب الملامح وأحيانا أخر واضح القسمات.
حانت التفاتة منها إلى الخلف يسير الهوينى خلفهما. التفت جورج إذ رآها توقفت وراح يدعو أحمد للمضي معهما:

- أسرع يا رجل، انضم إلينا .

تنهدت هي رافعة ذقنها بكبر وتصنع فضحهما الحزن البادي عليها والندم رغم هروب نظرتها وذبولها خلف نظارة معتمة وحديث يضج به لسانها، أقفلت عليه بفم مزموم مترفع.

سار الثلاثة وجورج يحوط بكلتا ذراعيه كلا الشخصين خلف ظهريهما ويتولى دفة الحديث عن المستقبل والعمل المشترك الذي سيتولاه أحمد كما وعده حين التقيا بمحطة للقطار.

لم يجد أحمد كلاما يتفوه به.

لم تجد هي شيئا تجيب به جورج الذي كان يحاكي الطرفين كأنه يحاكي أصناما لم تكن يوما بذات روح.

غيمة كان الحب والعشق.

أمطرت كل ما لديها...وجفت.

خادم القوم

اقتطع رمزي قطعة لحم صغيرة بسكينه الحادة بمساندة الشوكة المسلطة عموديا ومنغرزة في اللحم في طبق وضع فيه بعض الخضار رصت على جانب منه وقطع بطاطا مقلية مع كوب من عصير الخوخ المفضل لديه.

جلست هناك زوجته الأنيقة التي تهوى الاهتمام بنفسها كثيرا من ناحية اللياقة البدنية وتحديد كمية الطعام الذي تتناوله وتنوعه ولا تهمل طبعا اهتماماتها الأخرى التي تخص المرأة من تجميل وثقافة وزيارة الصديقات الفضليات.

جاء حسان وهو يستبدل مزهرية على إحدى المناضد بالقرب منهم بمزهرية، إذ إنه اعتاد على أن لا يجعل الأشياء بلا تغيير مستمر بين الحين والآخر .

ارتشفت غزل قليلا من عصير البرتقال خاصتها ثم قالت وهي تلتقط قطعة بطاطا من طبقها :

- ماذا بشأن الحفلة ؟

نظر رمزي إليها كأنه يريدها أن تذكره بالمزيد .

أكملت هي :

- لا تقل إنك نسيت، نحاول في هذه الحفلة أن أحصل على

عمل راق يتناسب ومكانتي الاجتماعية في إحدى شركات الملابس الجاهزة أو العطور
أجاب هو: سنرى، هناك شركة نعمة فاعور، إنها مميزة، والأخرى إلياس بو صعب .
اقترب حسان من الرجل وراح يحني قامته قليلا بأدب جم اعتاد على طريقته هذه في التعامل مع الأسياد، إذ إن له خبرة سنين في العمل لدى الكثير من العوائل الغنية والأرستقراطية .
قال بصوته الهادئ الواثق من نفسه وبلا تردد:
- لم تقدر على تغطية هذه الحفلة، هي مكلفة لأجل شيء بسيط .
تسمرت عينا غزل على رمزي محتجة على ما نطقه حسان، الخادم الأمين وقالت بغضب تكاد لا تكظمه وهي تستثير رمزي الذي كان يتناول طعام بهدوء ويمضغه برفق و تأني :
- رمزي، أنا أريد أن أعمل، قلت لك مرارا، أريد أن أشعر بذاتي،
أنظر إنه يقحم نفسه في كل شيء .
وراحت تكمل : أأنا شيء بسيط ؟
وضع شوكته جانبا على إحدى جوانب الطبق ولا زال يمسك بالسكين .
تفكر قليلا كأنه يعيد حساباته، نظر إلى حسان كأنه يريد أن يمده بمزيد من المحظورات مما استفز غزل التي راحت تتنقل ببصرها بين الرجلين :

- و؟

قالت هي .

أكمل حسان وهو يرفع قامته ويزيد مما لديه : الحصول على عمل من الأمور البسيطة لدى حضرتك، لا داع لهدر المزيد من المال، الحفلات تكلفنا الكثير لأجل المظاهر أكثر من الفائدة .

- رمزي .

قالت بغضب .

- أنت تمنح الخادم الكثير من الأولوية و الصلاحية لأمور لا يمكن أن يتدخل بها، أريده أن يترك المنزل حالا .

- اهدئي .

- أهدأ! هذا يعني إنك لن تتخلى عنه، ألست أنا سيدة الدار؟

حسان صامتا ينتظر ردا من رمزي الذي راح يرد عليها بحدية أكثر وجدية :

- أي خادم أحصل عليه، لا ترضين عليه .

- لأنك تختارهم حسب ما تريد .

- لأني أختارهم حسب مميزات وليس بشكل عشوائي، ماذا بشأن الخادمة السابقة ؟

- كانت وقحة، تنظر إليك كثيرا .ضحك رمزي بشكل تمثيلي مستهزءا :

- والتي قبلها ...و إسماعيل الآخر، أكان ينظر إلي ؟

تأففت قليلا ثم عادت :

- أنت تمنحه أكثر مما ينبغي، إنه مجرد خادم و...

أشار بيده كي تتوقف :

- حسان ليس خادم ...

حسان الرجل الأمين، إنه يعني لي الكثير، كل إنسان بحاجة إلى آخر و خصوصا شخص مثل حسان، بالكاد حصلت عليه .

- فلم طرد من تلك المنازل ؟

استوقفها بإشارة من يده :

- لم يطرد، بل كانت رغبة نساء مجنونات والآن ندم أزواجهن لتفريطهم به.

- والآن؟ سألت بتذمر .

- سيكون لديك عمل حتى تعضي الأصابع ندما .

لم تقتنع بهذا القدر، نهضت وهي عازمة على إتمام كل ما تريده :

- ليرحل حسان من البيت.

نهض رمزي وقد بدا على وجهه الحزن وقد رأى إن الأمر صار جادا أكثر.

خرج من مقعده وراح يواجه حسان الذي وقف إزاء رمزي منتظرا إصدار حكمه.

خاطب رمزي غزل: لن يكون بعده خادم في هذا البيت ولا خادمة.

غزل: أنت من يضخم الأمور من أجلهم.

نظر رمزي الى حسان وهو يكاد يغلب على أمره بين أن يكون بيته خالي من أي منغصات وبين محبته الخاصة لحسان .

ابتسم حسان ونطق بالحكم :

– لن تستطيع طردي سيد رمزي .
كان يتكلم بشكل واثق ويخاطب رمزي بشبه ابتسامة على محياه .
بهتت غزل حتى كادت تنفجر، لاح الأمل والفرح على وجه رمزي الذي راح يصغي بكل جوارحه ما عساه أن يكون المانع من طرد حسان .
أكمل حسان :
– لقد وعدتك يوماً أن لا أتركك، فأنت نهاية المطاف في هذا العمل، أنت بحاجتي وأنا كذلك، اتفقنا يوماً أن لا أتركك حتى لو طردتني، أنت رجل معروف بالوفاء بالوعد وأنا الآخر لا اترك رفاقي في الضيق ولا في الفرح .
ظلت غزل تنظر باستغراب وغضب الى كليهما وزاد على ذلك أن احتضن رمزي حسان وراح كلا الرجلين يربتان على أكتاف بعضهما فرحاً بالفوز والنجاة .
همس حسان لرمزي :
– لقد اتفقنا على هذا الاحتضان أيضاً .
همس رمزي أيضاً وهو يبتسم :
– جميل أن يتفق الرجال
كانت قهقهة الرجلين تملأ المكان

شطان فانية

امسك حفنة تراب ندي، حين كانت السماء تمطر قليلاً حتى ابتلت الأرض وفاح شذى حبات التراب منها.
اعتصره بيده كأنه لا يريد له الزوال من قبضته أو كأنه يريد إحياء رفاتها بمسكه تراب ذاك اللحد.
« أيعقل أن أقوم أنا بوضع جثمانك في القبر»
« كانت أياماً عنيفة تلك التي أعقبت رحيلك»
كان يحاكي ذاتهُ وهو جالس أمام قبر زوجتهُ الراحلة.
اغرورقت عينيهُ بالدموع وهو يرى ابنتهُ ذات أربع سنوات تحوط رقبتهُ من الخلف وهي تدعوه للمضي من هذا المكان المقفر الخالي من الحياة.
تحامل على نفسهِ كي ينهض ويمسح الدمع دون أن تلاحظ ذلك ابنتهُ وتلح
عليه بمزيد من الأسئلة عن سبب بكاءه، حيث لا يطيق أن يجيب
.
مضيا سوية للخروج الى عالم آخر.
يختلف عن هذا، لكن عاجلاً أم آجلاً يعودون اليه أما محملين على أكتاف

أجيال آخرين أو سيرا على أقدام حية.
نظر اليها وهما يسيران، رأها تشبهها.
كم يؤلمه هذا التشابه، كأنه ضده كي لا ينسى ولا يرتاح له بال.
سألته:
- أبي...هل سأموت أنا أيضا؟
قرر عدم زيارة المقبرة مرة أخرى برفقتها، كي لا تطعنه بأسئلتها وتدميه.
ابتسم على مضض وهو يقف ويبعد خصلة من شعرها جانباً:
- حبيبتي، لن تموتي، نحن فقط نصعد الى فوق حيث الكثير من الأشياء الجميلة التي تحبيها.
- هل استطيع أخذ حاجاتي التي أحب كي تراها أمي.
انتصبت قامته مجددا بعد أن انحنى لها.
ضغط على كفها داعيا إياها للمضي وهو يحدثها عن حياة أخرى جميلة وبعيدة في السماء، وان بإمكانها اخذ ما تريد.
- لن أعود للمقبرة مرة أخرى.
كان الطريق طويلا وبدأ المطر ينزل من جديد.

شاطئ اللؤلؤ

خطت أصابعها على الرمال اسمه واسمها وراح هو يكمل الرسم على رمل الشاطئ ليرسم صورة قلب تحوط الاسمين.

رأى شجنا في وجهها تحاول إخفاءه عنه، لكنه شعر بها:

- ماذا بك؟

نظرت صوب البحر كأنها تحكي له همسا.

امسك بيدها:

- حين أسألك تنظرين في عيني وليس صوب البحر.

عادت اليه ببصرها وهي تعبث بالرمل مكورة يديها لتجمع حفنة رمال ترفع بها تلالا وتنسف أخرى، أطرقت الى الأسفل:

- أتعتقد أن للحب نهايات سعيدة؟

نظر اليها بوجوم ثم قال بحدة:

- هذا السؤال تسأله النساء اللواتي لديهن تجارب حزينة في الحب؟

هي تعرف انه يمقت اللواتي مررن بتجارب حب أو صداقات عابرة مع الرجال.

لكنها سألته كي توضح له أن لها ماض ككل إنسان وأن هذا شيء طبيعي،فهي ليست حجرا.

نهض دون أن ينتظر إجابة وهي الأخرى صمتت كمن تريده أن يعرفها منذ البداية وهما لا زالا أشبه بصديقين:

- إلا تغادرين البحر؟

رفعت بصرها اليه وهي تجده واجما مدلهما، لا تحب أن تبدأ حياتها مع إنسان لا يحترم أن لها عاطفة حباها بها الله، هي ليست حجر صوان.

- لا .. أفضل البقاء.

تركته يذهب دون أن تتبعه ببصرها، استدار هو في منتصف الطريق، وجدها تدخل البحر رافعة فستانها كي لا يبتل، غامرة ساقيها بماء البحر البارد الجميل، تحاكي أشجانها الأفق المحيط بسطح ازرق مترامي الأطراف .

هناك راح المد يلعب أيضا بما بنوه على الشاطئ .

بيوت وقلاع وهناك تلال وحدائق غناء .

قلوب أطرها الرمل الرطب .

كم من أسماء لرجال و نساء وكم من حكايا تركت هناك على الشطآن، مرة تسحقها أقدام المارة العارية ومرة تذرو الريح حباتها بعيدا عن شواطئها، هناك لتحكي قصص العشاق حين كتبوها ورحلوا .

ومرات أخرى يحطمها أصحابها بعد أن أهتموا بها وبتصميمها حسب أحلامهم .

بنو غرف نوم وصالة ومطبخ وغرف أطفال، حددوا كم من البنات سينجبون وكم من البنين .

قرروا هوياتهم وأسمائهم وحتى شهاداتهم ومستقبلهم .
هناك من حقق الحلم وهناك من أفسده .
وهناك من تركه للطبيعة تعبث به كيفما تشاء .
هي أيضا دخلت البحر تاركة خلفها حلمها، زحف عليه المد وأحاله الى سطح أملس ثم أعاده الجزر مع ذكراه الى البحر، تاركا خلفه الفراغ والغياب تملأ المكان كما يمتلأ الجو برائحة الماء وطحالبه وتلك القواقع المحتضرة على الشاطئ .
التهم الماء كل شيء وهناك راح أيضا يزحف على أثار أقدامه وهو يرحل غير تاركا منها اثر .
كالحياة تمنحك أشياء وفي المقابل تأخذ أخرى .
قررت وهي تسبح في البحر نسيان الأرض ومن فيها .
لم يعد هناك رجل يخص حاضرها ومستقبلها .
كان يوما هناك لكنه انتهى بعد أن وضع بصمة في حياتها لن يغفرها رجل آخر لها وهي أنها امرأة ذات ماض و تجربة عاطفية منكسرة .
ستعيش كما هي ودون إخفاء لتلك البصمة .
كما يعيش كل رجل غير مبالي لكم البصمات التي لديه .

براعُم الماضي

نَظَرَت خَلفَهُ وَهيَ تَتَأمَلُ كَيفَ يَخطو خَلفَ أبيهِ بِبُطءٍ مُنشَغِلاً بِكُرَةٍ صَغيرةٍ بَينَ يَدَيه.

لاحت مِنهُ استِدارةٌ نَحوَ الخَلف، استَوقَفَتهُ نَظراتُها إليهِ، هوَ صَغيرٌ لَن يَفهَم ماذا تَعني هي.

ابتَسَمَت لَهُ أو هكذا خُيل لَها.

كانَ يَوماً حُلُماً، أن يَكونَ وَلَدها والآخرُ زَوجُها.

اتفَقا عَلى كُل شَيء، لَيلَةُ العُرس، المَدعوين، كَم مِن الأبناء وَالبَنات سَيُنجبان، حَتى افتَرقا وكَانَت هذه المُخَطَطات مَعَ امرأةٍ أُخرى، صارَت هي صاحِبةُ النَصيب ووالِدةُ ذاكَ الطفل.

نادى هوَ عَلى ابنِهِ كي يُسرِعَ مَعَهُ، يَمُدُ يَدَهُ لَهُ كي يُعَجِلَ بالوصولِ الى حَيثُ يُريدُ.

نَظَرت إليهِ، نَظَرَ إليها، لَم يَعُد هُناك ما يُمكِن مَنحَهُ للآخر.

جَفَ نَهرُ الحُب والوِداد الذي كانَ رَقراقاً.

ما كانا يَظنان إنهُما يَوماً سَيغدوان غَريبَين،لا يَجمَعُهما سَقف وَلا يَحتَويهما سَرير.

اختَلَفَ الطفلُ مَعَ والِده عَلى أمر، هوَ يُريدُ المَسير وَطِفلُهُ يُريدُ شَيئاً آخر، حَيثُ كانَ يُخاطِبَهُ بِصَوتِهِ الرَقيق المُنخَفِض.

رَأتهُ يَعودُ إليها دونَ أبيهِ!
تُرى ماذا يُريدُ؟
لَقد لَعبَت مَعهُ قَليلاً حينَ كانَ والدُهُ يُحدِثُها في أمورِ عامةِ، حَيثُ الحَديقَةُ العامةُ التي تَجلِس بها كَثيراً.
حينَ وَصَلَ إليها، قَبّلها مِن وَجنَتِها واعِداً إياها بالمزيد:
- سأدعوكِ الى بَيتَنا وَأعرفكِ على أمي، إنها جَميلة.
أشاحَ والِدُهُ بِوَجهِهِ جانِباً، إذ لَمْ يَعُد يَنفَعُ العَتبُ بَينَهُما لا بِنظرةٍ ولا بكلام.
اَبتَسَمَت حَيثُ لا شيء تَقولهُ سِوى ابتِسامة تائهة من خِضم أفكار تتلاطم أمواجُها حيناً وَحيناً آخر تَهدأ.
أومأت برأسِها أن نَعم.
قَبَّلَتهُ في جَبينهِ وَتركته يَذهبُ لأبيهِ.
راحا يسيران مخلفان ورائهما امرأة بلا حاضر ولا مُستَقبَل.
امرأة وَحيدة ساهمة.

تراتيل الألم

شارفت سيجارتهُ على الانتهاء وهو لاهٍ شريد لا يشعر بها، كم من الألم و العذاب لا يفارقه ولا هو يطلب النسيان الذي عز عليه ونأى .

دخلت بينهما الهواجس والشكوك فلم يبر بوعده لها بالارتباط بعد انتظار سنين وإعجاب متبادل بين الطرفين خصوصاً بعد وفاة زوجته وتركها لابن وحيد هو جل ما يملك وكل ما تمنى.

تركها معه في البحر وهما يعلمانه السباحة حتى عاد ولم يجده!

لم يجده!

جن جنونه، صرخ وزأر، نادى وغاص بحثاً عنه في الأعماق.

لم يكن ير أمامه سوى رعب الفقد وألم الثكل.

اتصلوا به بعد ساعات من الانهيار النفسي الذي لازمه.

العثور على جثة طفل على الشاطئ.

كان حديثاً على كل لسان في تلك المدينة العائمة على الماء.

كانت هي المتهمة الوحيدة في ذلك!

لم يستطع أن يغفر لها ولم يستطع إبلاغ الشرطة كونها كانت معه في الوقت الذي خرج هو فيه من البحر ثم عاد بعدها ليجده مفقودا.

نظر الى سيجارته وهي تنطفئ وتنتهي كأي حياة على وجه

الأرض.
تركها تسقط من بين أصابعه لتغرق في الماء.
كانت الباخرة تسير بسرعة بلا توقف الى أمام والماء يندفع الى الوراء.
هذا ماء البحر الذي تاه في جوفه اعز ما يملك، غرسه الوحيد الذي لحق بوالدته تاركين إياه وحيداً يسافر بعيداً عن أرض كانت لهما يوماً ملاذاً وسكناً.
والأخرى التي كانت حياةً ثانية حتى ظن بأنها لم تسعف ابنه وقتها.
اخرج من جيبه صورة.
كانت صورة تجمعه بزوجته وابنه والبسمة تلوح على الوجوه فقط لتزيد من عمق الألم وتعززه بعد رحيلهم.
ترك الصورة ترحل مع الماء وهو ينظر اليها تسافر ربما الى حيث ابنه الذي غادره دون وداع.
دون قبلة على الجبين .. دون أي شيء.

البحث عن هوية

تأمل الرجل الكهل الذي يبدو حزينا ابنه الفتي الذي كان يجلس مواجها للنافذة ولا يشعر بوجود والده خلفه وهو يقف ساكنا بلا حراك متكئا على عكاز الذي بدا هو الآخر كهلا مثله.

إن أحشاؤه تتمزق من الداخل على ابنه كمدا وشفقة وحزنا عليه وعلى نفسه أيضا.

- تبا للواشين!

أما كان الأجدر بهم أن يمسكوا ألسنتهم عما لا يخصهم ولا يعنيهم.

فر من تلك القرية اللعينة منذ سنين كيلا يعرف أحدا هوية ابنه في هذه القرية الجديدة ولا يضيع من يده ولا يسمع صداه الى الأبد.

حتى جاء احد الوشاة ليخبر ابنه بالحقيقة التي اجبر نفسه على إخفاءها طوال تلك السنين.

عاد الى الوراء حيث كان يعمل في أحد المصانع التي لا تبعد عن القرية كثيرا.

كانت لحظة مؤلمة ومباغتة وسعيدة أيضا، حين وجد ذلك الطفل الرضيع ملقى تحت شجيرة على طريق المصنع لف ببعض الخرق بشكل عشوائي ومؤلم والقي هناك، كان صراخه هو الذي فاجأ

الرجل حتى وصل مصدر الصوت وكانت مفاجأة صادمة، ما ذنب هذا الطفل المسكين بما تلده الليالي الآثمة!
والآن! ماذا الآن!
أيذهب كل ما جناه هباءً ؟
شاب بعمر الورد .. أيتركني بعد أن بات قطعة من دمي؟
راح الآخر يجلس ويطلق لنظره العنان من النافذة...كأن الحل لهذه المعضلة والمصيبة هي تلك النافذة الخرساء.
لا يستطيع أن يتخيل أن الرجل الذي رباه ليس بوالده!
صعب! جدا صعب!
لا يستطيع!
لقيط! إذن لقيط هو!
قضت هذه المفردة اللعينة على حياة رجلين بلا ذنب وبلا رحمة.
ملابسه، عطوره، شخصيته، رفاقه وما تربى عليه؟
كل ما كان من حياته ليس ملكا له، بل ملك هذا الرجل الأب المربي الروحي.
بحث كثيرا...وجد أول الخيوط التي ستدله على والديه المجرمين الحقيقيين.
والآخر ما ذنبه؟
ما الذي سأفعله إن وجدت لي ثلاثة والدين؟
رحم الله الرابع منهم.
استفاق من شروده المرير على عزم غريب مفاجئ كان قد حزم أمره سلفا.

سيذهب لأولئك الواشين.
لا بد من البحث.
لا راحة له بعد الآن .. وداعا لراحة البال.
لا بد أن يعرف الى أي نسب تصل كينونته.
- سأذهب معك.
قطع عزمه صوت والده، الرجل الذي منحه كل ما يملك، كل شيء في حياته ولم يبق، كان بإمكانه أن يرتبط بامرأة أخرى بعد وفاة زوجته.
لكنه لم يفعل، كان ابنه وراحته الهدف الوحيد.
وجد أن عبء الإنسانية أثقل من أن يترك سدى، وأن يهمل ويترك بقسوة تحت ظل شجرة.
- ليتك تركتني هناك!
- أنت لي مهما يكن...من نطفتي ودمي...من روحي وما املك.
اختر الحياة التي تحب وترضى وأنا سندك الأمين المخلص.
كانت هذه آخر كلمات لعزم لا بد منه في قرارة نفسه ثم في نفس والده .
من حقه أن يعرف والديه.
كان هذا الخيار مريح لأبيه اذ سيبقى معه... وتحت رعايته، حتى وأن اختار البحث بعيدا عنه.

رجل المزرعة

لطالما انشغلت به وهي ترقبه عن بعد يعمل في المزرعة مع أخيها وأولاده وتصغي لسماع نبرات صوته الرجولي المميز حيث يتسامران في غرفة خارجية للضيوف ليلا، كان يدرك انها تميل له بإحساسه ومن خلال بعض النظرات المتبادلة.

تخيلت طويلا انها تذهب اليه في غرفته المنعزلة في المزرعة والتي لا تبعد كثيرا عن البيت.

خافت من الفكرة... إلا إن رأسها يمتلأ بها ...كثيرة التفكير به ليل نهار.

حتى كانت ليلة ابتسم فيها القمر كعادته وهو يرى على الأرض جميع الناس، الشقي فيهم والسعيد، يرافق الكل بلا ملل.

غطت رأسها بوشاح وراحت تنفذ ما بدا لها محمود العواقب بعد أن أكدت للجميع انها ستنام لعلمها انه لا احد يبالي بها .. فالكل مشغول بنفسه خصوصا بعد وفاة والديها، غرفتها جانبية، امرأة على مشارف الأربعين سولت لها نفسها أن نعم.

تلصصت حتى وصلت اليه والكل مشغول بنفسه ولاه عنها وهو لوحده

هذا الشيء أكيد.

باب الغرفة مفتوح وهو مشغول قرب شجرة يغسل وجهه بالماء والصابون، دخلت دونما وجل... مصممة أن تخاطبه الليلة!

دخل الغرفة وهو يجفف يديه وراح الماء يقطر من شعره مرورا برقبته وراح يتخلل بسير متعرج غابات الشعر الكثيفة المنتشرة على صدره حتى ابتلت ملابسه مظهرة بعض حنايا جسده.

بهت حين رآها داخل غرفته وراح يفتح باب الغرفة بسرعة وخوف بعد أن أغلقه.

ظل ينظر اليها فاغرا فمه ومرة أخرى ينظر الى الباب لا يعرف أيغلقه أم يفتحه:

- تبا لك ! هيا اخرجي في الحال، وراح يشير بسبابته الى الباب.

توترت وارتبكت ... شعرت بالخجل:

سنتكلم فقط.

دهش لجرأتها وغضب:

- فقط!

دفعها خارجا لتنتهي القصة الا انها تعود:

- لم أتجشم عناء الحضور في هذا الوقت من الليل وكل هذا الخوف كي أعود خالية الوفاض، فقط دعني أبح لك بما أكن وأريد.

اقترب منها مندهشا من إصرارها وجرأتها ولم يجد بدا من أن يصفع خدها بقوة حتى صرخت ثم أعاد الكرة حتى سقطت.

لا يستطيع أن يفكر حتى في هول ما يحصل له، أأخت الرجل الذي

يؤويه في بيته ويعمل لديه! تريد فقط أن تتكلم معه؟
في هذا الليل البهيم وهذه الغرفة المنعزلة.
رجل عازب وامرأة عزباء ولا ثالث بينهما.
كيف ... ولماذا؟
عاد الى وعيه تاركا الأسئلة الملحة بلا اجوبة ! راح يسحب ذراعيها وهي على الأرض بقوة ويعيد التأنيب والسباب وكل ما يجري على لسانه:

- ارتدي وشاحك اللعين.

راحت تبكي وتنشج.
رآها ضعيفة لا حول ولا قوة، تناثر شعرها هنا وهناك، كانت تبكي وهو يلهث، لا يكاد يستجمع أنفاسه ولا يلتقطها.
اخذ وشاحها من هناك وألقاه اليها:

- ارتديه بسرعة...لنعد، لا بد أن أعيدك بسرعة.

سمع صوت رجل ينادي في الخارج.
شعر بالهلع والذعر ... إذ لا احد يأتيه ليلا سوى ذاك الرجل، أخيها !
سحبها بسرعة وراح يدفع بها نحو شماعة للملابس بوجل وقلق وعرقه يتصبب غزيرا، إذ لا مكان غير أسفل السرير والشماعة.

- صه! لا تتنفسي.
- تفضل يا رجل الباب مفتوح.

دخل الرجل الآخر وجلس على السرير بعد أن حياه.
صار يسأل عن الحال وثرثر قليلا، لكن الآخر كان مطرقا ينظر الى

كفه الذي صار ملتهبا بسبب تلك الصفعات وما جرى في الغرفة.
- أردت أن ألتقيك دقائق أن احتجت الى شيء، أرى انك مرهق؟
- تعرف تعب النهار.
لكن عينه كانت على الشماعة وقلبه تحت قدميه.
لم يكن يعلم أن للنساء القدرة على دفع الرجل الى الحضيض حتى رأى بأم عينيه وآمن.
نهض الرجل مودعا وسار معه حتى الباب.
أسرع الى إخراجها من هناك.
وجدها ترتجف ويملأ وجهها الدمع والعرق.
سحبها من ذراعها:
- هلمي بسرعة خلفي ... لا بد أن تصلي هناك.
راحت تجري خلفه وهما يحثان الخطى في طريق متعرج وليس ذاك المستقيم حيث يسير أخوها وهما بمحاذاته إلا قليلا يحاولان الوصول.
كانا يسيران بسرعة في الظلام فمرة يقعان في بركة ماء وأخرى يتعثران بأغصان الشجر، لقد طال الطريق أكثر من المعتاد !
ما باله؟ أهو الخوف والقلق جعلاه يطول؟
لا يكاد الطريق أن يكون واضحا، نصفه ضوء القمر وضوء البيت ونصفه ظلام.
شعر أخوها بصوت قريب منه، التفت هنا وهناك، لم يجد شيئا .
اختبأ الاثنان خلف شجرة عملاقة وهي خلفه، رجع الى الوراء قليلا

إذ كان أخوها ينظر باحثا عن مصدر الصوت، شعر بها قريبة منه بل كانت تقترب أكثر فأكثر حتى راحت ذراعاها تطوقه من الخلف وهي تضع إحداهما على خصره والأخرى على صدره وتضع رأسها على ظهره وتبكي بحرقة محاولة عدم إصدار أي صوت.

أطرق ببصره الى الأسفل.

رق لها وأشفق عليها بعد كل تلك الصفعات حين باغتته في غرفته.

انه يشعر بالدوار...لكن لا بد من الجلد والصلابة، فالموقف خطير.

اخفض يديها عنه وهمس:

- اسرعي.

دخل أخوها البيت وهما يقتربان أكثر حتى اختفيا خلف جدار قريب.

سمع صوت المفاتيح يخرجها الرجل من جيبه ويغلق الباب!

وهنا الطامة الكبرى!

أوصد الباب بالمفتاح ... ما العمل؟

ضرب رأسه بالجدار من الخلف ... لم يدرك حينها انها ضربة قوية .

تراءت له الدنيا كدائرة كبيرة داخلها دوائر أخر تصغر وتصغر وتتلاشى حتى المركز فيخيل له أن هذه الدوائر تبتلعه وتلفه الى هاوية بلا قرار.

لم يعد يشعر بشيء.

كانت هناك غشاوة على وجه المرأة التي تحاول إيقاظه .
وجه أخيها، المزرعة، غرفته وحياته.

فقدان

لم تكن ملابسه التي يرتديها نظيفة ومرتبة كما ينبغي مثل باقي الصبية الذين يلعب معهم.

الأتربة تغطي قدميه والأوساخ انتشرت على ملابسه وتركزت على محيط ياقته.

لم يعد يرغب حتى باللعب مع أقرانه مذ تركت والدته البيت باحثة عن زوج آخر غير والده الذي تزوج بامرأة أخرى وفي بيت منعزل عن ذويه تاركا ضياء ابنه عسى أن تربيه جدته المريضة التي لا تقوى على إتمام أعمال البيت ولا خدمة زوجها العجوز الذي يكد في عمله نهارا باحثا عن قوته وعن لقمة لم يعد أولاده يوفروه له ولأمهم فضلا عن الصبي الذي يسكن معهم بلا حول ولا قوة.

فقد الرغبة بالمدرسة وفي اللعب، ليس هناك ما يجبره على الذهاب ليتعلم.

ظل يراقب الصبية وهم يلعبون.

كان طفلا طبيعيا وسعيدا قبل أن يحتدم الخلاف بين والديه ويقرر كل منهما أن يهتم بحياته دون حساب له.

تفرقَ الأولاد كلٌ الى بيته، حيث وقت الغداء الذي راحت روائحهُ تنبعث من القدور وتعلن شهيتها في الزقاق حيث كانوا يلعبون.

اختلس النظر الى أحد البيوت عبر الباب الموارب قليلا بعد أن نادت إحداهن على ولدها لتناول الغداء، حيث راح يرقبه حتى دخل، وهناك اجتمعوا جميعهم على مائدة وصحون صفت على مفرش للطعام في حديقة الدار، لمت شمل الأبوين والأطفال.

كان يركز بصرهُ على الأم وأواني الطعام.

« إلا يمكن أن تعود أمي أيضاً وتجلس قربي وتناديني كباقي الأولاد حين تظهر أمهاتهم من خلف الأبواب لتناديهم.

« إلا يمكن أن تظهر أمي بثوب مزركش بالورود الزهرية اللون وهي تبتسم لتناديني فأغفو في حضنها قبل أن أجالسها وأتناول معها الطعام؟»

نظر الى ذاك الأب بحسرة.

كم صارت مفردة أمي وأبي بعيدة عنه

أحقا يحب الآباء والأمهات أولادهم؟

هل أحبوني أهلي يوما؟»

رجع الى الزقاق خالي الوفاض وحيدا، جلس عند الباب، باب أجداده الذين فرضه القدر عليهم.

لا ينتظر أن تناديه جدته ليأكل سيء الطعام وقليله ولا يعرف أين يذهب وماذا يفعل.

كم من الأبواب تملأ الحي، وكم من قصص وحكايات خلفها.

كانت هناك عدة شقوق في ملابسه يكشف عن جسده الأسمر النحيل من خلالها .

راح يرقب قدميه المتربتين وأظفاره التي استطالت وتكسرت بلا

تشذيب.
مرت سيارة فارهة من أمامه.
كان ذلك الجار الغني الذي يبتاع لأولاده كل ما يشتهون ويغدق عليهم بما لذ وطاب.
ينظر من علياء الى ذاك الصبي الفقير الذي لا يرى في فقره ما يؤلمه سوى غياب والديه.
بعد ساعات كانت القرية لا تذكر من أحاديثها للتسلية وسمر الليل سوى غياب ذلك الصبي!
ترى أين ذهب!
قيل أن هناك سيارة غريبة التقطته من إحدى أزقة القرية.
تبادل أولاد الجيران الحديث همسا أن هناك بئرا عميقة في نهاية القرية قرب البستان الكبير، ربما ابتلعته حيث شوهد مرارا يحاكي البئر وهو شارد.
الجارة أم أمير صاحبة أكبر نشرة أخبار مستاءة جدا كونها لا تملك أية معلومات عن الموضوع كي تثرثر عنها مع جاراتها حين يجلسن وقت الغروب عند الباب.
والده لا يعلم شيئا، لديه زوجة وحياة مستقلة.
والدته نسيت اسمه، لم لا يتكفل به والده؟
جده وجدته لم يبحثا عنه، سألوا في حدود القرية هنا وهناك.
ماذا عليهم أن يفعلوا لنطفة نبذها من اشترك في إحياءها يوما على سرير لا يعرف سوى الرغبة متناسيا ثمارها؟
قال الساخرون أن هناك جني وجنية لا يملكان أولادا، ربما

تبنياه..
ما عاد الأولاد يلعبون قرب بيت ضياء.
ظل الباب مغلقا منذ غيابه المجهول.
بقي ذلك الزقاق فارغا ساكنا كأنه يبكي فقيده بصمت .

ما بعد الحب

يجلس في الحديقة محاولا الاسترخاء والاستجمام متناسيا متاعب النهار وإرهاق العمل.

تناهى الى سمعه صوت زوجته من داخل البيت وهي تسب وتشتم ابنهما.

قهقه في سره بصوت عال وتذكر يوما كم كانت تحبه ولا تسمح لأحد أن يتجاوز عليه بحرف.

تبا للزواج حين يصبح هدفا للحب !

يوميات عانس

تجاوزت الأربعين من العمر ...
وما عاد يعنيها مرور رجل بالقرب منها.
انطفأت كل رغبة لها بالجنس الآخر.
والدها خيرها بالزواج من ذلك الرجل الكهل والذي يناهز عمره، أو أن تبقى بلا زواج ولا رجل إلى الأبد.
تزوج هو شابة تصغره بكثير.
وهي صارت ترقب خفية تلك الزوجة الشابة التي كانت تبحث عن شريك شاب.

زوجتي الصغيرة

لطالما أزعجه فارق العمر بينهما.
يحبها ويخشى الكثير.
يراها تمازح إخوته الصغار كثيراً، ليس بقدر ما تضحك معه وتتكلم.
اعتزل إخوته في بيت آخر ليحافظ عليها.
وجد غيرته تزداد والخوف من فقدها يؤلمه.
صارت تحادثِ إخوتهُ وَتُمازِحَهم بالهاتف النقال تاركةً إياه يتقوقع على نفسه.
الأرقُ يفتتُ جبالَ صبرهِ.

أخلاقيات

- هي أخلاق الغرب تطبعت بها.
- هي أخلاق ديني قبل أن أذهب هناك، ذهبت وعدت بها.
- إذن لم كل هذه الفوضى في بلادنا؟
- لأننا لم نخلص بالتمسك بتلك الأخلاقيات.
- ولو تمسكنا بها، نصبح مثلهم؟

تنهد بألم:

- المسألة بحاجة إلى يقين صادق، انظر إلى الله ثم تكلم.

حينها ستبصر.

ملل

كل ما يطلبه مجاب!
شيء ممل وقاتم!
يحسد خادمه لأنه قنوع ويعمل بنشاط.
طلب من الخادم تبادل الأدوار ليوم!
صار يطبخ باحتراف وينظف البيت ولا ينسى الحديقة ونشر الغسيل والتسوق.
لديه عمل آخر يكسب منه مالا.
للحياة طعم آخر.
نظم سيره وامسك عن التبذير.

جدتي

بيد نحيلة واهنة فيها الكثير من الخطوط والتجاعيد .. تلملم جدتي عباءتها حول نفسها خجلا وتمسكا بتقاليد اعتادت عليها، ورثت من جيل الى آخر، إذ إنها لا تتنازل عن عباءتها في أي مجلس.
ثمة الكثير من النسوة يرتدين أصناف الملابس والماركات الحديثة.
لم تكن تنوي الصعود معي الى البنك إلا أن إصراري أجبرها كوني لا أرغب بتركها لوحدها في السيارة.
جلست بجانبها امرأة ترتدي ثيابا ضيقة وهي ذات جسد ممتلئ.
تقوقعت جدتي على نفسها حين رأت تلك المرأة وراحت تسحب طرف عباءتها لتخفي فيه نصف وجهها خجلا من رؤية تلك المرأة.

- كم أحب حياءك جدتي!

الخاتمة

الكتابة...
بدأ الحلم صغيرا
حتى كبر ونما وصار عشقا
ملاذا في الحزن والفرح
رفيقا لا يخاصم
وان خاصم
لن يطول معه الهجر

هذا كتابي الأول، عبارة عن مجموعة قصصية
هناك رواية تحت الطبع
واخرى تنتظر ربعها الأخير
ان يحسم القرار
واصل بأبطالها الى بر ما
ربما آمن
وربما فيه الكثير من المنزلقات
والمنعطفات التي لا بد منها

معهم لنقرر المصير.

من مجموعتي...
سقطت قطرات مطر في عينيها لتشارك دموعها برفق وحنو للانحدار الى اسفل لتصب في زاوية فمها او تستمر في الجريان الى رقبتها برحلة ازلية طالما مارستها حواء لهذا السبب او ذاك.
اخفضت رأسها واطرقت النظر حين اقترب الرجل .
ستسقط ارضا.

الفهرست

الاهداء	٥
بعض من نور	٧
وصف	٩
غربة روح	١٣
ليلة باردة	١٦
صفقة	٢٠
في انتظار الباص	٢٤
نهاية وردة	٢٦
قطعة نقدية	٢٩
تبا لذكراها	٣٤
أبطال الوهم	٣٨
نساء الضباب	٤١
سيدة القصر	٤٣
فراغ	٤٧
مظلة تحت المطر	٤٩
بعيداً عن الأرض	٥٣
أرق	٥٧
عابثة	٥٩
وحدة	٦٢
غصة حنين	٦٤
غياب	٦٧

الغرفة المغلقة	٦٩
بلا رجل	٧١
اغتصاب ذاكرة	٧٧
حديث السماء	٨٣
بلا وطن	٨٥
أول لقاء	٨٨
إياك أعني	٩٠
بركة	٩١
سارقة	٩٥
سحابة صيف	٩٧
خادم القوم	١٠٤
شطآن فانية	١٠٩
شاطئ اللؤلؤ	١١١
براعم الماضي	١١٤
تراتيل الألم	١١٦
البحث عن هوية	١١٨
رجل المزرعة	١٢١
فقدان	١٢٧
ما بعد الحب	١٣١
يوميات عانس	١٣٢
زوجتي الصغيرة	١٣٣

أخلاقيات ١٣٤
ملل ١٣٥
جدتي ١٣٦
الخاتمة ١٣٨